جامعـــة الأزهـــــر
كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية
كلية معتمدة من الهيئة القومية لضمان جودة التعليم والاعتماد

مناهج المفسرين دراسة تأصيلية من خلال مقدمات التفاسير

إعداد

أحمد رأفت إمام عبدربه

مدرس التفسير وعلوم القرآن
بكلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية

مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية العدد الرابع والأربعون، لعام ١٤٤٦هـ-
يونيو ٢٠٢٥م والمودعة بدار الكتب تحت رقم ٢٠٢٤/٦١٥٧ والترقيم الدولي الطباعي
The Online ISSN 2974-4679 و I.S.S.N 2974-4660

مناهج المفسرين دراسة تأصيلية من خلال مقدمات التفاسير

أحمد رأفت إمام عبدربه
قسم التفسير وعلوم القرآن ـ كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية ـ جامعة الأزهر ـ مصر
البريد الإلكتروني : ahmedimam.adv@azhar.edu.eg

ملخص البحث -:

تعدّ التفاسير أعظم موسوعات التراث علما وأكثرها فنونا، فقد حوت بين جنباتها علوم الملة السمحاء، وضمَّت بين طياتها فنون الشريعة الغراء ، فأضحت مفخرة الإسلام ومرآة الزمان، وغُرّة تلك الموسوعات مقدماتها التي صدّرها بها أربابها، فدلّت بألفاظها على جليل صنيعهم، وغدت بمبانيها أماراتٍ مشرقةً على عظيم آثارهم. هذا، وقد تناولت تلك الدراسة جانبا هاما حوته تلك المقدمات ألا وهو جانب مناهج المفسرين، فأصّلت لأهم معالم ذلك العلم الذي جمع بين أصالة المصدر ومعاصرة التصنيف، اقتداء بكتب طبقات المفسرين، كما توصل البحث إلى فضل سبق المفسرين في ذلك العلم ، حتى اكتملت أركانه، واتسقت فصوله، وتكاملت جوانبه، فجاء البحث بعنوان: (مناهج المفسرين دراسة تأصيلية من خلال مقدمات التفاسير)، واقتضت طبيعة الدراسة أن يكون في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة: المقدمة : وفيها(أسباب اختيار الموضوع، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وإجراءات البحث، وخطة الدراسة). التمهيد : وفيه التعريف بمفردات عنوان البحث. المبحث الأول: ترجمة المفسرين في مقدمات التفاسير، وفيه مطالب: الأول: عصر المؤلف. ،الثاني :طلبه وتحصيله . الثالث: شيوخه وأسانيده. الرابع : مصنفاته في التفسير. الخامس : حياته ومناصبه. المبحث الثاني: معالم مناهج المفسرين في توصيف كتب التفسير، وفيه مطالب: الأول: عنوان الكتاب. الثاني: وصف

الكتاب: الثالث: شرطه في كتابه. الرابع: مصادره. الخامس: سبب التأليف. السادس: توقيت التأليف. السابع: اتجاهات المفسرين تبعا للعلوم. المبحث الثالث: فصول مهمة متعلقة بمناهج المفسرين صدرها المفسرون في مقدمات التفاسير، وفيه مطالب : الأول: فضل علم التفسير ، والثناء على المفسرين. الثاني: شروط المفسر، و الآلات التي يحتاجها المفسر. الثالث: التفسير والتأويل، وألوان التفسير. الرابع: طبقات المفسرين. الخامس: أشهر المصنفات في التفسير. ثم الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات ، وثبت المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات.

الكلمات الافتتاحية :- مناهج – المفسرين – دراسة – خلال – مقدمات التفاسير .

Methodologies of the Exegetes: A Foundational Study Through the Introductions of Tafsir Works"

Dr-Ahmed Raafat Imam Abdraboh
Department of Interpretation and Qur'anic Sciences - Faculty of Religion and Da'wah in Menoufia - Al-Azhar University – Egypt .

Email: ahmedimam.adv@azhar.edu.eg

Research Abstract

Tafsir (Qur'anic exegesis) is regarded as the greatest encyclopedias of Islamic heritage, celebrated for its extensive knowledge and diverse disciplines. These works encompass the sciences of the noble religion and integrate the arts of the exalted Shari'ah, becoming a source of pride for Islam and a mirror reflecting the eras. Among the most prominent features of these encyclopedias are their introductions, crafted by their authors with eloquent expressions to highlight the excellence of their contributions. These introductions serve as luminous indicators of the profound impact of their authors and the magnitude of their scholarly achievements. This study addresses an essential aspect contained within these introductions: the *methodologies of the exegetes*. It establishes the main principles of this discipline, combining the authenticity of primary sources with modern categorization, following the example of *Tabaqat al-Mufassirin* (biographical dictionaries of exegetes). The research highlights the exegetes' precedence in this field, demonstrating how its foundational pillars were perfected, its chapters aligned, and its elements harmonized into a comprehensive and coherent discipline. Titled **"Methodologies of the Exegetes: A Foundational Study Through the Introductions of Tafsir Works"**, the research is organized into an introduction, a prelude, three main chapters, and a conclusion. The structure is as follows: **Introduction:** The introduction includes: Reasons for choosing the topic. Review of previous studies. Research methodology. Research procedures. The study outline. **Prelude** :The prelude provides definitions of the key terms in the research title, such as *Manhaj* (methodology) and *Tafsir* (exegesis). **Chapter One:**

Biographical Profiles of the Exegetes in Tafsir Introductions This chapter addresses: The historical era of the author. The author's pursuit of knowledge and academic achievements. The author's teachers and chains of transmission (Asanid). The author's contributions to Tafsir literature. The author's life and official positions. **Chapter Two: Features of the Exegetes' Methodologies in Describing Tafsir Works** This chapter examines: The title of the book. A description of the book. The author's stated methodology in the work. The sources cited in the book. The reasons behind the book's authorship. The historical context and timing of the book's composition. The intellectual orientations of the exegetes based on various sciences. **Chapter Three: Key Themes Related to the Methodologies of Exegetes Highlighted in Tafsir Introductions** This chapter explores: The virtue of the science of Tafsir and commendation of the exegetes. The qualifications and tools required for an exegete. The distinction between Tafsir and Ta'wil (interpretation) and the various types of Tafsir. The classification of exegetes into categories. The most renowned works of Tafsir. **Conclusion** The conclusion includes: The most significant findings of the research. Recommendations for further study. A bibliography of sources and references. A table of contents. This study emphasizes the importance of examining the introductions of Tafsir works as a key to understanding the methodologies of exegetes. It advocates for conducting comparative studies between the methodologies of early and contemporary exegetes, while expanding research to include lesser-studied Tafsir works.

Key words :- Methodologies - The Exegetes – Study - Through - The Introductions of Tafsir Works.

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي أمد أولياءه بألطاف رحمته، واجتباهم بمواهب فضله وجزيل منته، وأسبغ عليهم نعماءه فاختارهم لعبادته، وشغلهم بوحيه فأفنوا فيه أعمارهم فنالوا بذلك محل ولايته، والصلاة والسلام على سيد الخلق من اختاره سبحانه لرسالته، وعلى وأصحابه وأزواجه وآل بيته وذريته، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم لقائه في دار كرامته.

وبعد

فالوحي الشريف والتنزيل الجليل شفاء القلوب وصلاح النفوس وموطن الهداية وعنصر الاستقامة وأمارة التوفيق، اصطفى الله له أفئدة واعية ونفوسا زاكية وعقولا وافية، فأكب الأوائل من الصحب الكرام والتابعين من أئمة الإسلام عليه؛ حتى ينالوا شفاعته، ويستصحبوا كرامته، ويستنزلوا بركته، فشغلهم درسه وتدبره عن الأهل والولدان، فأحصوا ألفاظه وحروفه ، واستنبطوا من جمله أحكامه وفرائده، وذلك بما أفاض عليهم من فهم أو علم، وبما فتح لهم من اجتهاد أو رأي.

ولا تزال التفاسير مفخرة كتب الإسلام ؛ حيث احتوت على زبدة العلوم، وخلاصة الفهوم، وأكثر الآثار، وجملة الأخبار، وبدائع الأحكام ، وجليل النكات، وفرائد الأقوال، حتى أضحت محط أنظار العلماء، ومقر السادة الأولياء، فهي محل تدبر التنزيل ومناط فهم كلام العزيز الجليل على تنوع مشارب المفسرين وتعدد اتجاهات المصنفين، فأشربت بعلوم الإسلام من الأصول والفروع واللغة والرواية ، فجمعت بذلك بين صحيح المنقول وصريح المعقول كشاهد على إعجاز كلام الحكيم الخبير، فسبحان من هذا وحيه وتنزيله ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [سورة النساء:٨٢].

ومن المعلوم أن تلك الموسوعات التفسيرية التي تزخر بها كتب الإسلام أضحت مرآة صافية لبيان التنزيل، ومظهرا جليلا لتقريب مراد الله من كلامه، فبهذا تسنّمت محل كتب التراث، وأصبحت كالإنسان من العين والعين من الإنسان. وأجلّ الدراسات القرآنية تبيينا لتلك الموسوعات وأصحابها ومذاهبهم واختياراتهم تلك الدراسات التي عُنيت بطرائق المفسرين ومناهج المؤلفين في التفسير والمعروفة ب"مناهج المفسرين".

وقد يظن البعض أنه فن حادث، وعلم مستجد، وباب معاصر من الدرس والبحث ، وذلك ضرب من الظن، وسبيل ادّعاء لا بينة عليه، بل الصحيح المعتمد عند أولي النهى أن لكل علم رجاله وأصحابه وتآليفه ومصادره، ولكل فن مناهج معروفة في الدرس والبحث والتصنيف، وعليه فمناهج المفسرين أصيل المصدر معاصر الطرح جديد التناول. ولعلّ مما يزيد الأمر بهاء ويحققه تقريرا النظر في روافد تلك الدراسات ككتب الطبقات والتراجم، وكتب المفسرين وعلوم القرآن وغيرها، مع الاستقراء والتّتبع للمفسرين وتفاسيرهم في الدراسات الأكاديمية المعاصرة.

ومن أجلّ تلك الروافد مقدمات التفاسير ، فكأني بالقارئ يقول صاحب الكلام أعلم بمراده من كلامه،فإذا أراد المطالع لمناهج المفسرين وطرائق المصنفين أن يضع يده على أول معالم ذلك العلم وأصيل روافده فدونه تلك المقدمات، فالمقدمات من المهمات. ومما يدل على اعتبار تلك المقدمات أمرا معتبرا في كونها رافدا من روافد مناهج المفسرين ترسم معالمه وترسي قواعده وتوضح أسسه، ما أورده أبوحيان(ت٧٤٥هـ) في مقدمة تفسيره عند حديثه عن الزمخشري، وبيان رفعة مكانته من خلال مقدمته فيقول بعد أن ساق طرفا منها: «انتهى كلام الزمخشري في وصف متعاطي تفسير القرآن، وأنت ترى هذا الكلام وما احتوى عليه من الترصيف الذي يبهر بجنسه الأدباء، ويقهر بفصاحته البلغاء، **وهو شاهد له بأهليته للنظر في تفسير القرآن، واستخراج لطائف الفرقان** » [1] .

(١) البحر المحيط (٢٠/١).

ومن ثَمَّ جاءت تلك الدراسة للبحث في مقدمات زهاء أربعين تفسيرًا مطبوعًا، تعرب عن مناهج المفسرين في ضوء تلك المقدمات، بعنوان: **« مناهج المفسرين دراسة تأصيلية من خلال مقدمات التفاسير»** والله أسأل أن يجنبني الزلل، وأن يعصمني من الخطإ والخطل إنه جواد قريب سميع مجيب.

أسباب اختيار الموضوع:

١- اشتمال مقدمات التفاسير على فصول مهمة تُعنى بالجانب التأصيلي لقضايا مناهج المفسرين.

٢-اعتماد تصانيف المفسرين كشاهد أصيل في بيان طرائق التفسير واتجاهات التأليف.

٣- الوقوف على المصادر الأولية لمناهج المفسرين كرافد معتبر من خلال مقدمات التفاسير.

الدراسات السابقة:

تعدَّد التصنيف في علم مناهج المفسرين تنظيرا وتطبيقا جمعا للطرائق والمسالك والاتجاهات وإفرادا لدى المفسرين والمشتغلين بالتفسير من غير المفسرين كالفقهاء والمحدثين واللغويين ونظرا لكثرة الدراسات والأطروحات العلمية والبحوث في مناهج المفسرين وجهودهم التي يزخر بها قسم التفسير وعلوم القرآن بكليات الجامعة الأزهرية وغيرها من الجامعات المصرية فلا يحصرهم العدّ، هذا فيما يتعلق بمناهج المفسرين ،كما أنه تناولت بعض الدراسات مقدمات التفاسير بالبحث والتأصيل، من ذلك:

١- أصول التفسير في مقدمات كتب التفسير للباحثة /سلمى بنت داود بن إبراهيم بن داود بحث بمجلة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية .(٢٠١١م-١٤٣٢هـ).

٢- أصول التفسير في الخطاب المُقَدِّمَاتِي قراءة في أشهر مقدّمات كتب التفسير، للدكتور أحمد ذيب أستاذ المناهج والدراسات الإسلامية بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – الجزائر، وله عدد من المشاركات العلمية. بحث منشور بملتقى أهل التفسير.

الفرق بين البحث والدراسات السابقة:

-عنيت الدراسات السابقة بالحديث عن أصول التفسير وقواعده وضوابطه، وهو ما قد يشترك مع بعض مباحث مناهج المفسرين، وغيره من مباحث علوم القرآن في مقدمات التفسير، إلا أن البحث تناول مناهج المفسرين باعتبار الوصف العام من ترجمة المفسر وحديثه عن كتابه وشرطه وضوابطه في تفسيره، واختياراته في بعض المباحث التفسيرية كالترجيح وتفسير القرآن بالرأي، وغير ذلك مما هو مبين في محله.

منهج البحث:

لكل دراسة ما يناسبها من مناهج البحث العلمي، فالأوفق بهذه الدراسة اتّباع المنهج التاريخي والاستقرائي، والوصفي والمقارن والتحليلي، المتمثل في تتبع مقدمات التفاسير، والوقوف على معالم مناهج المفسرين فيها، مع المقارنة بينهم في تقريرها.

إجراءات البحث:

- نظرًا لطبيعة البحث في مناهج المفسرين، فقد اتسمت معالمه بالمنهج الوصفي، فكان الاكتفاء بالأعلام دون تعريف بهم في الهوامش خشية الإثقال على الحواشي، وخوفا من إطالة البحث -خاصة-وقد كثر تعديدهم في مثل ذكر المفسّر شيوخه وأسانيده؛ كمثل صنيع الثعلبي (ت٤٢٧هـ)، والواحدي (ت٤٦٨هـ)، وأبي حيان(ت٧٤٥هـ).
- اتّبع البحث تناول مناهج المفسرين ابتداء بتراجم المفسرين، ثم معالم وصف كتب التفسير وختاما بفصول مهمة تناولها المفسرون تعدّ كالمقدمات بين

يدي علم مناهج المفسرين، وقد اقتفي المفسرون –لاسيما المعاصرين– في علم مناهج المفسرين خُطى الأوائل من المفسرين في التأصيل لتلك المقدمات باعتبارها مدخلا هامًّا لمناهج المفسرين.

- اكتفت الدراسة بشواهد من كلام المفسرين في مقدمات التفاسير التي ربتْ على زهاء أربعين تفسيرا، ولم يكن القصد من البحث استقصاء جميع كتب التفسير مطبوعها ومخطوطها، فذلك مما لا يسعفه الحصر في مثل تلك الدراسة التأصيلية .
- وفقا لطبيعة الدراسة التي اشتملت على جانب مهم من جوانب كتب التفسير وهو مقدماتها التي طالت أحيانا وقصرت أخرى، فقد يظهر في بعض الشواهد من كلام المفسرين شيء من الإطناب ، واقتضى البحث إيرادها بتمامها دون تصرف لتكتمل صور المقدمات عند المطالع كتب التفسير.
- اعتمد البحث مقدمات كتب التفسير المصنفة دون التفاسير المدوّنة مطلقا كمقاتل ومجاهد وعبد الرزاق وابن أبي حاتم وغيرهم، فهي جوامع للروايات والآثار في التفسير، مع خلوّها من المقدمات .
- اختيرت التفاسير –قيد الدراسة–تبعا للترتيب الزمني ابتداء بالطبري (ت٣١٠هـ) وختاما بالطاهر ابن عاشور(ت١٣٩٣هـ)، والاشتهار في كتب التفسير مع الاعتماد عليها في النقل والترجيح والاختيار.

خطة البحث :

اقتضت طبيعة البحث أن أقسمه إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة:

المقدمة : وفيها(أسباب اختيار الموضوع، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وإجراءات البحث، وخطة البحث).

التمهيد

وفيه التعريف بمفردات عنوان البحث: **المنهج**، و**التفسير**.

المبحث الأول: ترجمة المفسر في مقدمات التفاسير.

- المطلب الأول: عصر المفسر.
- المطلب الثاني: طلبه وتحصيله.
- المطلب الثالث: شيوخه وأسانيده.
- المطلب الرابع: مصنفاته في التفسير.
- المطلب الخامس: حياته ومناصبه.

المبحث الثاني: معالم مناهج المفسرين في توصيف كتب التفسير.

- المطلب الأول: عنوان الكتاب.
- المطلب الثاني: وصف الكتاب.
- المطلب الثالث: شرطه في كتابه.
- المطلب الرابع: مصادره.
- المطلب الخامس: سبب التأليف.
- المطلب السادس: توقيت التأليف.
- المطلب السابع: اتجاهات المفسرين تبعًا للعلوم.

المبحث الثالث: فصول مهمة متعلقة بمناهج المفسرين صدّرها المفسرون في مقدمات التفاسير

- المطلب الأول: فضل علم التفسير، والثناء على المفسرين.
- المطلب الثاني: شروط المفسر، والآلات التي يحتاجها المفسر.
- المطلب الثالث: التفسير والتأويل، وألوان التفسير.
- المطلب الرابع: طبقات المفسرين.
- المطلب الخامس: أشهر المصنفات في التفسير.

الخاتمة:

وفيها أهم **النتائج** و**التوصيات**، و**ثبت المصادر والمراجع**، و**فهرس الموضوعات**.

تمهيد : التعريف بمفردات عنوان البحث

أولا: التعريف بمفردة(منهج):

تدور مادة (نهج) حول الوضوح والاستقامة،قال الخليل(ت١٧٠هـ): « طريقٌ نَهْجٌ: واسِعٌ واضِحٌ، وطُرُقٌ نَهْجةٌ. ونَهَجَ الأمرُ وأَنْهَجَ- لغتان- أي: وضح. ومِنْهَجُ الطّريقِ: وَضَحُه. والمِنْهاج: الطّريقُ الواضِحُ.....

قال: وأَنْ أفوزَ بنُور أَستضيءُ بِه ... أَمضي على سُنّةٍ منه ومنهاج» ، وقال ابن دريد(ت٣٢١هـ): « وَالْجمع نهوج ونهاج وَهُوَ الْمنْهَج وَالْجمع مناهج. »،وقال الجوهري(ت٣٩٣هـ): «وأَنْهَجَ الطريقُ، أي استبانَ وصار نَهْجاً واضحاً بَيّناً. قال يزيد بن الخذاق العبدي: «ولقد أضاءَ لك الطريقُ وأَنْهَجَتْ،،،، سُبُلُ المَسالِكِ والهُدى تُعْدي»[1] أي تُعين وتقوّي. ونَهَجْتُ الطريق، إذا أبنته وأو ضحته. يقال: اعمل على ما نَهَجْتُهُ لك. ونَهَجْتُ الطريق أيضاً، إذا سلكته. وفلان يَسْتَنْهِجُ سَبيلَ فلان، أي يسلك مسلكَهُ.» ،وقال ابن فارس(ت٣٩٥هـ): «(نَهَجَ) النُّونُ وَالْهَاءُ وَالْجِيمُ أَصْلَانِ مُتَبَايِنَانِ: الْأَوَّلُ النَّهْجُ، الطَّرِيقُ. وَنَهَجَ لِي الْأَمْرَ: أَوْضَحَهُ. وَهُوَ مُسْتَقِيمُ الْمِنْهَاجِ. وَالْمَنْهَجُ: الطَّرِيقُ أَيْضًا، وَالْجَمْعُ الْمَنَاهِجُ. وَالْآخَرُ الِانْقِطَاعُ. وَأَتَانَا فُلَانٌ يَنْهَجُ، إِذَا أَتَى مَبْهُورًا مُنْقَطِعَ النَّفَسِ. وَضَرَبْتُ فُلَانًا حَتَّى أَنْهِجَ، أَيْ سَقَطَ.وَمِنَ الْبَابِ نَهَجَ الثَّوْبُ وَأَنْهَجَ: أَخْلَقَ وَلَمَّا يَنْشَقَّ. وَأَنْهَجَهُ الْبِلَى. »، وقال ابن منظور (ت٧١١هـ): «نهج: طريقٌ نَهْجٌ: بَيِّنٌ واضِحٌ، وَهُوَ النَّهْجُ...وطُرُقٌ نَهْجَةٌ، وسبيلٌ مَنْهَجٌ: كَنَهْجٍ. ومَنْهَجُ الطريقِ: وضَحُه. والمِنهاجُ: كالمَنْهَجِ. وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [سورة المائدة:٤٨].....واسْتَنْهَجَ الطريقُ:

---

(١) أورده المفضل الضبي في المفضليات في القصيدة رقم(٧٨) البيت(١١)، قال ابن السكيت (ت ٢٤٤هـ) في شرحه : « ، يقول إبصارك الهدى يقويك على طريقك ومعنى يعدي يقوي، ومن هذا أعداني السلطان، وقوله أضاء لك أي أبصرت أمرك وتبين لك وأنهجت صارت نهجا واضحة بينة»«القلب والإبدال» (ص٧).

صَارَ نَهْجاً. وَفِي حَدِيثِ الْعَبَّاسِ: لَمْ يَمُتْ رسولُ الله ﷺ، حَتَّى تَرَكَكُم عَلَى طريقٍ ناهِجةٍ[1] أَي واضحةٍ بَيِّنَةٍ... »[2] وبهذا يتبين أن أصل المادة في اللغة يدور على الإبانة والإيضاح وشواهد ذلك من التنزيل والحديث وأشعار العرب واستعمالاتها كثيرة مشهورة. وأما المنهج اصطلاحاً: فهو الطّريق المؤدي إلى التعرّف على الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد، التي تهيمن على سبر العقل، وتحدّد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة [3]، وبعبارة أخرى هو: "القانون أو القاعدة التي تحكم أيّ محاولة للدراسة العلمية في أيّ مجال"[4].وعليه فإنّ المناهج تختلف باختلاف العلوم التي تبحث فيها، فلكلّ علم منهج يناسبه، مع وجود قدرٍ مشترك بين المناهج المختلفة.

ثانيا: التعريف بمفردة (تفسير):

وأما التفسير فإنه تدور مادته في اللغة على الكشف والبيان والإيضاح مطلقا سواء أكان الكشف لغموض لفظ أم لغير ذلك ، قال الخليل(ت١٧٠هـ): «فسر: الفَسْرُ: التفسير وهو بيان وتفصيل للكِتاب، وفَسَره يفسِره فسرا، وفسره تفسيرا. والتَّفْسِرة: اسمٌ للبَوُل الذي

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف عن العباس رضي الله عنه(٥/ ٤٣٥ ت الأعظمي): باب: بَدْءُ مَرَضِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺبرقم (٩٧٥٤) ، وابن حجر في المطالب العالية(١٧/ ٥٠٩): ثم قال : قُلْتُ: رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُيَيْنَةَ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابن عباس [عن العباس] رضي الله عنه نحوه." قال محققه: الحديث بهذا الإسناد رجاله ثقات، إلَّا أنه منقطع بين عكرمة والعباس.وعليه فالحديث بهذا الإسناد ضعيف، ولكن ورد موصولًا عند البزّار والطبراني، وقد صحح الحافظ ابن حجر إسناد الطبراني كما تقدم.

(٢) «العين» (٣/ ٣٩٢)، ولم أقف على قائل البيت الذي أورده الخليل، «جمهرة اللغة» (١/ ٤٩٨)، «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» (١/ ٣٤٦) ،«مقاييس اللغة» (٥/ ٣٦١)، «لسان العرب» (٢/ ٣٨٣).

(٣) مناهج البحث العلمي وضوابطه في الإسلام، د/ حلمي عبد المنعم صابر، ص ١٤، بدون بيانات نشر.

(٤) منهج البحث العلمي عند العرب (ص ٢٧١).

ينظُر فيه الأَطِّباء، يُسْتَدَلُّ به على مَرَض البَدَنِ، وكلُّ شيءٍ يُعرفَ به تفسيرُ الشيءِ فهو التَّفسِرةُ.»[1]، وقال ابن منظور (ت٧١١هـ): «فسر: الفَسْرُ: الْبَيَانُ. فَسَر الشيءَ يفسِرُه، بالكَسر، ويفْسُرُه، بِالضَّمّ، فَسْراً وفَسَّرَهُ: أَبانه، والتَّفْسيرُ مِثْلُهُ. ابْنُ الأَعرابي: التَّفْسيرُ والتأْويل وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ. وَقَوْلُهُ عز وجل: وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً؛ الفَسْرُ: كَشْفُ المُغَطّى، والتَّفْسير كَشف المُراد عَنِ اللَّفْظِ المُشْكل، والتأْويل: رَدُّ أَحد الْمُحْتَمَلَيْنِ إِلَى مَا يُطَابِقُ الظَّاهِرَ. واسْتَفْسَرْتُه كَذَا أَي سأَلته أَن يُفَسِّره لِي.»[2] ، وفي التنزيل: {وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا } [الفرقان: ٣٣] ، أي بيانًا وتفصيلًا والمزيد من الفعلين أكثر في الاستعمال.

وأما الاصطلاح :فقد كثر تعاريف العلماء للتفسير أورد السيوطي (ت٩١١هـ) في الإتقان منها ثلاثة فقال: وقال بعضهم: التفسير في الاصطلاح علم نزول الآيات وشئونها وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها ثم ترتيب مكيها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها، وحلالها وحرامها ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها، وقال أبو حيان: التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك.... وقال الزركشي: التفسير علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ.»[3] والبعض قد يختار تعريف أبي حيان لشموله وأسبقيته فقد قال : « وقد آن أن نشرع فيما قصدنا، وننجز ما به وعدنا، ونبدأ برسم لعلم التفسير، **فإني لم أقف لأحد من علماء التفسير على رسم له،** فنقول..وأما

(١) «العين» (٧/ ٢٤٧).
(٢) «لسان العرب» (٥/ ٥٥).
(٣) الإتقان في علوم القرآن (٤/ ١٩٥).

الرسم في الاصطلاح، فنقول: التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن.....»[1] إلا أن الحاصل أن يقال : مذاهب العلماء في تعريف علم التفسير على أضرب: فمنهم من عرّف بالمثال كأبي حيان ، ومنهم من عرف بالمقصود والغاية كالزركشي(ت٧٩٤هـ)، ومنهم من اشترط في الحد الطاقة البشرية، فقال : « هو علم بأصول يعرف بها معاني كلام الله تعالى بحسب الطاقة البشرية.»[2]، ومنهم من اعتبر طريقة التناول كابن عاشور(ت١٣٩٣هـ) في قوله:«والتفسير في الاصطلاح نقول: هو اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها باختصار أو توسع.»[3]، ولكل وجهته إلا أنهم اتفقوا على كونه بيانا لكلام الله سبحانه.

(١) «البحر المحيط في التفسير» (١/ ٢٦).
(٢) بيان المعاني (١/ ٦).
(٣) التحرير والتنوير (١/ ١١).

المبحث الأول: ترجمة المفسرين في مقدمات التفاسير، وفيه مطالب:

المطلب الأول: عصر المؤلف:

المفسِّر مرآة شاهدة على عصره ، صادقة على أوانه، فمهما يممت وجهك صوب المصنفات في التراجم والتآليف في التاريخ والأخبار وأيام الناس لما وجدت خيرا من شهادة المعاصر لتلك الحوادث، المعاين لهذي الأحوال. ففي القرن الخامس الهجري يطالعنا الإمام الواحدي (ت٤٦٨هـ) في تفاسيره الثلاث البسيط والوسيط والوجيز مسطرا بعض معاناته، وطرفا من مقاساته لأهل زمانه في مقدمة البسيط مبيّنا غرض تأليفه لتفسيره إبان تلك الحقبة، فيقول –رحمه الله– :" وذلك لتوفر دواعي أهل زماننا على الجهل، وظهور رغباتهم عن العلم، الذي فيه شرف الدين والدنيا، وعز الآخرة والأولى، فقل من ترى من المتحلين بعقوده وقلائده، ومنتحلي غرره وفوائده (إلا متشبعًا ، كلابس ثوبي زور) ، يبرق، وبروقه غير صادقة، ويرعد وسماؤه غير وادقة(الودق:المطر)، اللهم إلا نفرًا يقل عددهم عند الإحصاء، وتكثر فضائلهم على الحصر والاستقصاء، غير أنهم الأكثرون وإن قلوا، ومواضع الأنس حيث حلوا؛ لأن العلم وإن أصبح في الناس مجفوًّا، وأظهروا عنه نفرة ونُبوًّا فحرمته لا تضاع ، وسوامه لا تراع، ولن يخلو الشيء الفاضل في جنسه عن عزته في نفسه، وإن قلَّ من يعتامه وعز من يطلبه ويستامه"[1] ،وقال أيضا في مقدمة الوسيط :" والأيام تدفع في صدر المطلوب بصروفها، على اختلاف صنوفها، وسآخذ نفسي على فتورها، وقريحتي على قصورها، لما أرى من جفاء الزمان، وخمول العلم وأهله، وعلو أمر الجاهل على جهله، بتصنيف تفسير أعفيه من التطويل والإكثار، وأسلمه من خلل الوجازة والاختصار، وآتي به على النمط الأوسط والقصد الأقوم حسنة بين السيئتين، ومنزلة بين المنزلتين، لا إقلال ولا إملال. نعم المعين توفيق

(١) البسيط(٣٩٥/١).

الله تعالى، لإتمام ما نويت، وتيسيره لإحكام ما له تصديت "[1] . ولم يكتف في الوجيز بذكر جفاء الزمان وخمول العلم وذهاب أهله إشارة كما فعل في الوسيط والبسيط ، بل أورد من الآثار الدالة على تقادم الزمن وفشو الجهل وانتزاع العلم بقبض العلماء، فقال:"أما بعد فإن لكل زمان نشوا (أي النشء وهم الأحداث)،ولكل نشو علما يتعاطونه على قدر هممهم وأفهامهم ومددهم في العمر وأيامهم، وفيما سلف من الأيام وخلا من الشهور والأعوام كانت الهمم إلى العلوم مصروفة والرغبات عليها موقوفة يتوفر عليها طلاب المراتب في الدنيا والراغبون في مثوبة العقبى ثم لم تزل على مر الليالي تنخفض الهمم وتتراجع حتى عاد وابلها قطرة ولم نشاهد مما كانت عليه ذرة ذلك قضاء الله مبرم ووعد من الرسول صلى الله عليه وسلم محكم بانتزاع العلم وقبضه .... فقد قبضت الفحول وهلكت الوعول وانقرض زمان العلم وخمدت جمرته وهزمته كرة الجهل وعلت دولته ولم يبق إلا صبابة نتجرعها وأطمار نجتابها ونتدرعها وعليها من حال.[2] ، ولم يكن الواحدي وحده شاهدا على عصره في تفسيره بل غيره من أعلام المفسرين كأبي حيان(ت٧٤٥هـ)،وأبي السعود(ت٩٨٢هـ)،والآلوسي(ت١٢٥٠) وغيرهم ، فقد أوردوا طرفا من عصورهم ودولهم في مقدمات تفاسيريهم ، فلله در أولئك الأعلام كيف وطنوا أنفسهم على حفظ العلم وتدوينه ومدارسته وتحصيله في غربة الزمان وقلة المعين فأثمرت جهودهم تراثا ينهل منه الدارسون ويستقي من معينه الواردون فجزاهم الله عن الإسلام وأهله خير الجزاء.

□

(١) الوسيط (١/١٥٠).
(٢) الوجيز ص:٨٥..

المطلب الثاني :طلبه وتحصيله :

يصدِّر المفسِّر أحيانا كتابه بالحديث عن رحلته في طلب العلم وتعلقه به، وأجواء تحصيله، وملابسات درسه، فهذا العلامة أبو حيان(ت٧٤٥هـ) يصف بعض رحلاته وطرفا من أخباره فيقول:" وما زلت من لدن ميزت أتلمذ للعلماء، وأنحاز للفهماء، وأرغب في مجالسهم، وأنافس في نفائسهم، وأسلك طريقهم، وأتبع فريقهم، فلا أنتقل إلا من إمام إلى إمام، ولا أتوقل(التوقل: صعود الجبل) إلا ذروة علام. فكم صدر أودعت علمه صدري، وحبر أفنيت في فوائده حبري، وإمام أكثرت به الإلمام، وعلام أطلت معه الاستعلام، أشنف المسامع بما تحسد عليه العيون، وأذيل في تطلاب ذلك المال المصون، وأرتع في رياض وارفة الظلال، وأكرع في حياض صافية السلسال، وأقتبس بها من أنوارهم، وأقتطف من أزهارهم، وأبتلج من صفحاتهم، وأتأرج من نفحاتهم، وألقط من نثارهم، وأضبط من فضالة إيثارهم، وأقيد من شواردهم، وأنتقي من فرائدهم. فجعلت العلم بالنهار سحيري، وبالليل سميري، زمان غيري يقصر ساريه على الصبا، ويهب للهو ولا كهبوب الصبا، ويرفل في مطارف اللهو، ويتقمص أردية الزهو، ويؤثر مسرات الأشباح، على لذات الأرواح، ويقطع نفائس الأوقات، في خسائس الشهوات، من مطعم شهي، ومشرب روي، وملبس بهي، ومركب خطي، ومفرش وطي، ومنصب سني، وأنا أتوسد أبواب العلماء، وأتقصد أماثل الفهماء، وأسهر في حنادس الظلام، وأصبر على شظف الأيام، وأوثر العلم على الأهل والمال والولد، وأرتحل من بلد إلى بلد، حتى ألقيت بمصر عصا التسيار، وقلت ما بعد عبادان من دار، هذه مشارق الأرض ومغاربها، وبها طوالع شموسها وغواربها، بيضة الإسلام، ومستقر الأعلام، فأقمت بها لمعرفة أبديها، وعارفة علم أسديها، وثأي أرأبه، وفاضل أصحبه، وبها صنفت تصانيفي، وألفت تآليفي، **ومن بركاتها علي تصنيفي لهذا الكتاب**[1]، المقرب من رب الأرباب، المرجو أن يكون نورا

(١) وفيه إشارة إلى مكانة مصر بلد الأمن والأمان والعلم والعلماء فإليها يرتحلون وإليها يفدون، فهي أرض مباركة مهبط العلماء ومحل الأولياء ومزار الأنبياء.

يسعى بين يدي، وسترا من النار يضفو علي، فما لمخلوق بتأليفه قصدت، ولا غير وجه الله به أردت."[1] ، ومن بعده العلامة أبو الثناء الآلوسي(ت١٢٧٠هـ) يسطِّر شيئا من أحايين طلبه، وأفانين تحصيله للعلوم –لاسيما علوم التنزيل–، فيقول:" وإني ولله تعالى المنة مذ ميطت عني التمائم، ونيطت على رأسي العمائم لم أزل متطلبا لاستكشاف سره المكتوم، مترقبا لارتشاف رحيقه المختوم طالما فرقت نومي لجمع شوارده وفارقت قومي لوصال خرائده. فلو رأيتني وأنا أصافح بالجبين صفحات الكتاب من السهر، وأطالع– إن أعوز الشمع يوما– على نور القمر، في كثير من ليالي الشهر وأمثالي إذ ذاك يرفلون في مطارف اللهو. ويرقلون في ميادين الزهو. ويؤثرون مسرات الأشباح على لذات الأرواح. ويهبون نفائس الأوقات، لنهب خسائس الشهوات. وأنا مع حداثة سني وضيق عطني لا تغرني حالهم ولا تغيرني أفعالهم. كأن لبني لبانتي، ووصال سعدي سعادتي. حتى وقفت على كثير من حقائقه، ووفقت لحل وفير من دقائقه. وثقبت– والثناء لله تعالى– من دره بقلم فكري درا مثمنا ولا بدع فأنا من فضل الله الشهاب وأبو الثناء. وقبل أن يكمل سني عشرين جعلت أصدح به وأصدع. وشرعت أدفع كثيرا من إشكالات الأشكال وأدفع وأتجاهر بما ألهمنيه ربي مما لم أظفر به في كتاب من دقائق التفسير، وأعلق على ما أغلق مما لم تعلق به ظفر كل ذي ذهن خطير. ولست أنا أول من منّ الله تعالى عليه بذلك، ولا آخر من سلك في هاتيك المسالك. فكم وكم للزمان ولد مثلي، وكم تفضل الفرد عز شأنه على كثير بأضعاف فضل

ألا إنما الأيام أبناء واحد وهذي الليالي كلها أخوات[2]

---

(١) البحر المحيط(١٢/١).

(٢) البيت منسوب لأبي العلاء المعري، ولم أقف عليه في ديوانه ، انظر: «الدر الفريد وبيت القصيد»لمحمد بن أيدمر المستعصمي (٦٣٩ هـ – ٧١٠ هـ) (٥/ ٦٥)، «زهر الأكم في الأمثال والحكم»للحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي، نور الدين اليوسي (ت ١١٠٢هـ) (١/ ٣٣٣).

إلا أن رياض هذه الأعصار عراها إعصار، وحياض تيك الأمصار اعتراها اعتصار. فصار العلم بالعيوق والعلماء أعز من بيض الأنوق، والفضل معلق بأجنحة النسور وميت حي الأدب لا يرجى له نشور.

كـأن لم يكن بين الحجون إلى أنيس ولم يسـمر بمكة سـامر[1]

ولكن الملك المنان أبقى من فضله الكثير قليلا من ذوي العرفان في هذه الأزمان، دينهم اقتناص الشوارد وديدنهم افتضاض أبكار الفوائد يروون فيروون ويقدحون فيورون لكل منهم مزية لا يستتر نورها ومرتبة لا ينتثر نورها طالما اقتطفت من أزهارهم واقتبست من أنوارهم، وكم صدر منهم أودعت علمه صدري، وحبر فيهم أفنيت في فوائده حبري. ولم أزل مدة على هذه الحال لا أعبأ بما عبا لي مما قيل أو يقال: كتاب الله لي أفضل مؤانس وسميري إذا احلولكت ظلمة الحنادس."[2]

المطلب الثالث: شيوخه وأسانيده:

إذ يستهل المصنِّف كتابه بذكر شيوخه وأساتذته، ويُثَنِّي بتعديد أسانيده في تفسيره، حتى يلقي أمام القارئ علما مسندا ومصدرًا موثقًا فما هو إلا صنعة شيوخه وامتداد علماء عصره؛ فكأنه يضبط منهجية الأخذ وطريقة التعليم، كما أن فيه نوعا من الوفاء لمعلميه بالترضي عليهم والترحم وذكر مناقبهم، فها هو الإمام أبو إسحاق الثعلبي (ت٤٢٧هـ) يعدِّد أسانيده للتفاسير المسندة كابن عباس ووكيع وعكرمة وسعيد بن منصور وغيرهم ، كما ذكر أسانيده لكتب المعاني وكتب الغريب [3]، وها هو الإمام أبو الحسن الواحدي(ت٤٦٨هـ) يعدد شيوخه ومن تلقى عنهم اللغة والنحو والتصريف والمعاني

(١) اختلفت المصادر في نسبته، فقيل: لعامر بن الحارث. وقيل: لمضاض بن عمرو. وقيل غير ذلك. واتفقوا على أنَّه من جرهم، قاله يتشوق إلى مكة لما أجلتهم عنها خزاعة. وانظر البيت في تاريخ الطبري ٢/ ٢٨٥. والعقد الفريد ٥/ ٣١٨.

(٢) روح المعاني(٤/١).

(٣) الكشف والبيان(١٧/٢).

والقراءات وغيرها من علوم الشريعة فيقول:" وأظنني لم آل جهدًا في إحكام أصول هذا العلم، على حسب ما يليق بزماننا هذا، ويسعه سنو عمري على قلة أعدادها، فقد وفق الله تعالى وله الحمد، حتى اقتبست كل ما احتجت إليه في هذا الباب من مظانه، وأخذته من معادنه. أما (اللغة): فقد درستها على الشيخ أبي الفضل أحمد بن محمد بن عبدالله بن يوسف العروضي رحمه الله، وكان قد خنق التسعين في خدمة الأدب، وأدرك المشايخ الكبار، وقرأ عليهم وروى عنهم كأبي منصور الأزهري ، روى عنه كتاب "التهذيب" وغيره من الكتب، وأدرك أبا العباس العامري، وأبا القاسم الأسدي ، وأبا نصر طاهر بن محمد الوزيري، وأبا الحسين الرخجي ، وهؤلاء كانوا فرسان البلاغة وأئمة اللغةوسمع أبا العباس الأصم ، وروى عنه، واستخلفه الأستاذ أبو بكر الخوارزمي على درسه عند غيبته ،وله المصنفات الكبار، والاستدراكات على الفحول من علماء اللغة والنحو. وكنت قد لازمته سنين، أدخل عليه عند طلوع الشمس، وأخرج لغروبها، أسمع، وأقرأ، وأعلق، وأحفظ، وأبحث، وأذاكر أصحابه ما بين طرفي النهار، وقرأت عليه الكثير من الدواوين، وكتب اللغة، حتى عاتبني شيخي رحمه الله يوما من الأيام وقال: إنك لم تبق ديوانا من الشعر إلا قضيت حقه، أما آن لك أن تتفرغ لتفسير كتاب الله العزيز؟! يقرؤه علي هذا الرجل الذي يأتيه البعداء من أقاصي البلاد، وتتركه أنت على قرب ما بيننا من الجوار، يعني: الأستاذ الإمام (أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي) رحمه الله. فقلت: يا أبت إنما أتدرج بهذا إلى ذلك الذي تريد، وإذا لم أحكم الأدب بجد وتعب، لم أرم في غرض التفسير عن كثب، ثم لم أغبَّ زيارته يومًا من الأيام إلى أن حال بيننا قدر الحمام. وأما (النحو) فإني لما كنت في مَيْعَةِ صباي، وشَرْخِ شبيبتي ، وقعت إلى الشيخ: (أبي الحسن علي بن محمد بن إبراهيم الضرير (رحمه الله)، وكان من أبرع أهل زمانه في لطائف النحو وغوامضه، وأعلمهم بمضايق طوق العربية ودقائقها، ولعله تفرس فيَّ، وتوسم أثر الخير لدي، فتجرد لتخريجي، وصرف وكده إلى تأديبي، ولم يذخر عني شيئا من مكنون ما عنده، حتى استأثرني بأفلاذه ، وسعدت به أفضل ما سعد تلميذ بأستاذه،وقرأت عليه

جوامع النحو والتصريف والمعاني، وعلقت عنه قريبًا من مائة جزء في المسائل المشكلة، وسمعت منه أكثر مصنفاته، في النحو والعروض والعلل، وخصني بكتابه الكبير في علل القراءات المرتبة في كتاب "الغاية" لابن مهران. ثم ورد علينا الشيخ الإمام أبو الحسن عمران بن موسى المغربي المالكي ، وكان واحد عصره، وباقعة دهره في علم النحو، لم يلحق أحد ممن سمعنا شأوه في معرفة الإعراب، ولقد صحبته مدة مقامه عندنا، حتى استنزفت غرر ما عنده. وأما (القرآن وقراءات أهل الأمصار واختيارات الأئمة)، فإني اختلفت أولا إلى الأستاذ (أبي القاسم علي بن أحمد البستي–رحمه الله–، وقرأت عليه القرآن ختمات كثيرة لا تحصى، حتى قرأت عليه أكثر طريقة الأستاذ (أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران(رحمه الله)، ثم ذهبت إلى الإمامين (أبي عثمان سعيد بن محمد الحيري) و (أبي الحسن علي بن محمد الفارسي) –رحمهما الله–، وكانا قد انتهت إليهما الرئاسة في هذا العلم، وأشير إليهما بالأصابع في علو السن، ورؤية المشايخ، وكثرة التلامذة، وغزارة العلوم وارتفاع الأسانيد، والوثوق فيها، فقرأت عليهما، وأخذت من كل واحد منهما حظا وافرا بعون الله وحسن توفيقه وقرأت على الأستاذ (سعيد) مصنفات ابن مهران ، وروى لنا كتب أبي علي الفسوي عنه. وقرأت عليه بلفظي كتاب الزجاج في المعاني روايته عن ابن مقسم عنه، وسمع بقراءتي الخلق الكثير ، ثم فرغت للأستاذ الإمام "أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي" رحمه الله، وكان حبر العلماء بل بحرهم، ونجم الفضلاء بل بدرهم، وزين الأئمة بل فخرهم، وأوحد الأمة بل صدرهم، وله التفسير الملقب بـ"الكشف والبيان عن تفسير القرآن" الذي رفعت به المطايا في السهل والأوعار، وسارت به الفلك في البحار، وهبت هبوب الريح في الأقطار وسار مسير الشمس في كل بلدة ... وهب هبوب الريح في البر والبحر وأصفقت عليه كافة الأمة على اختلاف نحلهم، وأقروا له بالفضيلة في تصنيفه ما لم يسبق إلى مثله، فمن أدركه وصحبه علم أنه كان منقطع القرين، ومن لم يدركه فلينظر في مصنفاته؛ ليستدل بها على أنه كان بحرًا لا ينزف، وغمرًا لا يسبر، وقرأت عليه من مصنفاته أكثر من خمسمائة

جزء، وتفسيره الكبير، وكتابه المعنون بـ"الكامل في علم القرآن" وغيرهما. ولو أثبت المشايخ الذين أدركتهم، واقتبست عنهم هذا العلم، من مشايخ (نيسابور) وسائر البلاد التي وطئتها، طال الخطب وملَّ الناظر."[1]

- **هذا، وقد أوردت كلام العلامة الواحدي – رحمه الله – بتمامه لأمور منها:**

تصريحه بتبحره في العلوم بذكر أربابها فعدد اللغة والنحو والتصريف والقراءات وغيرها.

ذكره بعض المصنفات التي قرأها على بعض أساتذته كدواوين الشعر وكتب المعاني ككتاب الزجاج والتفسير كالكشف والبيان.

شدة ملازمته لبعض شيوخه زمنا وطلبا منذ طلوع الشمس حتى غروبها إلى أن قضى أجله واخترمته المنية.

اختياره من أهل كل فنّه أوائله، ومن كل علم أربابه المشهود لهم بالرسوخ وعلو القدر تدريسا وتصنيفا.

تفصيله حاله مع كل شيخ في ما درسه عليه وقرأه ودونه واستجازه فيه حتى يتأهل للنظر في تفسير كلام الله .

اعتبار ما وصفه الإمام الواحدي –رحمه الله– صورة صادقة لتبحر المفسرين وطول باعهم في تحصيل علوم الشريعة قبل التصدر للنظر في تفسير كلام الله حتى يشهد لهم أرباب العلوم بالتقدم، فلا ضير أن تكون اختيارتهم عن نظر وأقوالهم عن تمحيص وطول تدبر. وبالجملة: فما ذكره الإمام الواحدي –رحمه الله– غيض من فيض كما قال أنه لو عدَّد كلَّ من أخذ عنه لطال الخطب ومل الناظر" فكما قيل "يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق" فلله درهم من أئمة مخلصين أفنوا أعمارهم في خدمة التنزيل.

□

(١) التفسير البسيط(١/٤٢٥).

المطلب الرابع : مصنفاته في التفسير:

على غير عادة للمفسِّر أن يعدّد شيئا من تآليفه إلا لمناسبة كما فعل ابن جرير الطبري(ت٣١٠هـ) في تفسيره عند حديثه عن أسماء الفاتحة فقال:" وقد بيَّنا الصوابَ مِن القولِ عندَنا في ذلك في كتابِنا "اللطيفِ في أحكامِ شرائعِ الإسلامِ"، بوَجيزٍ مِن القولِ، وسنَسْتَقْصِي بيانَ ذلك بحكايةِ أقوالِ المختلفين فيه مِن الصحابةِ والتابعين والمتقَدِّمِين والمتأخِّرِين في كتابِنا الأكبرِ "في أحكامِ شرائعِ الإسلامِ" إنِ الله شاء ذلك." [(١)]، وفي موضع آخر عند حديثه عن النسخ يقول:" قد دَلَّلنا فى كتابِنا "كتابِ البيانِ عن أصولِ الأحكامِ"، على ألا ناسخَ فى آيِ القرآنِ وأخبارِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، إلا ما نَفَى حكمًا ثابتًا، قد لزِم العِبادَ فرضُه، غيرَ مُحْتَمِلٍ ظاهرُه وباطنُه غيرَ ذلك، فأما ما احْتَمل غيرَ ذلك –مِن أن يكونَ بمَعْنى الاستثناءِ، أو الخصوصِ والعمومِ، أو المُجْمَلِ والمُفَسَّرِ– فمِن الناسخِ والمنسوخِ بمَعْزِلٍ، بما أغْنَى عن تكريرِه فى هذا الموضعِ. وألا منسوخَ إلا المَنْفىُّ الذى قد كان ثَبَت حُكمُه وفَرْضُه." أ.هـ[(٢)]. ، وكذلك نجم الدين النسفي(ت٥٣٧هـ) عند تفسيره للتقوى يقول««وللناسِ في التقوى والمتَّقي أقاويلُ تبلغ مئةَ قول عدَّدْناها في كتابنا الموسوم بـ "بحر علوم التفسير على نحو رسوم التذكير"، وفي كتاب الله تعالى في تفسيره ما يغني عن كثيرٍ من ذلك»[(٣)]

فإذا كان البعض قد أورد بعض مصنفاته في تفسيره كالطبري والنسفي فإن الواحدي– رحمه الله– صدَّر تفسيره الوسيط بذكر بعض مصنفاته في التفسير خاصة كقوله:"وقد سبق لي قبل هذا الكتاب، بتوفيق الله وحسن تيسيره، مجموعات ثلاث في هذا العلم: معاني التفسير، ومسند التفسير، ومختصر التفسيروقديما كنت أطالب بإملاء كتاب في تفسير (وسيط) ينحط عن درجة (البسيط) الذي تجر فيه أذيال الأقوال، ويرتفع عن مرتبة

(١) جامع البيان (١٠٧/١)
(٢) المصدر السابق (٤٥٨/٢)
(٣) التيسير في التفسير(٢٢٣/١).

(الوجيز) الذي اقتصر على الإقلال."[1] ، وبنحو ما صنع الواحدي اقتفى أثره أبو القاسم النيسابوري(ت٥٥٣ هـ) في مقدمة كتابه إيجاز البيان عند كلامه على بعض تآليفه إذ يقول:" ومن أراد التبحر والتكثر فعليه بكتابنا «غرر الأقاويل في معاني التنزيل"، ومن أراد محاورة المتكلمين ومحاضرة المتأدبين فلينظر من أحد كتابينا إمّا كتاب «باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن» ، وإمّا كتاب «الأسولة الرائعة والأجوبة الصادعة إلى حلبة البيان وحلية الإحسان وزبدة التفاسير ولمعة الأقاويل"، ومن أراد ريحانة العلوم وباكورة التفاسير وأمهات الآداب ومقلدات الأشعار فلينشر من كتابنا «شوارد الشواهد وقلائد القصائد» حلل الوشي وأنماطه وليبسط منه زرابي الربيع ورياطه(جمع ريْطَة وهي:المَلاءَةُ) ، وكل من ذلك ركض في ميدان قد حسرت عنه الجياد، وانقطعت دونه الآماد، ولكنه سنّة العلماء الأولين أجمعين في تفسير ما أشكل للآخرين الأعجمين." أ.هـ [2]

والحاصل أن إشارة المفسر لبعض مصنفاته قد يكون اكتفاء كما صنع الطبري، أو اختصارا كما انتهج النسفي أو تتميما كما عبّر الواحدي في مقدمته عن تآليفه في التفسيرأو تفصيلا وتعريفا وعزوا كما عدّد النيسابوري اتفاقا لصنيع الواحدي ، إلا أن صنيع الواحدي في مقدمة تفسيره أظهر في المقصود العام بتصانيفه في التفسير، وإن كان النيسابوري فصَّل في مقاصد القراء من التبحر في التفسير أو تقرير مشكلات القرآن، أو مطالعة الأقوال فدونك مصنفات تروي الغليل وتشفي العليل. ومعلوم أن المقدمات مفاتيح المصنفات .

□

(١) تفسير الوسيط(٥٠/١).

(٢) إيجاز البيان عن معاني القرآن(٥٦/١).

المطلب الخامس : حياته ومناصبه:

من المتقرر عند أولي النهى أن حياة العالم تؤثر في نتاجه الفكري وتراثه العلمي- لاسيما إن كان متقلدا لبعض المناصب كالقضاء والفتيا والتدريس وغيرها، فلا ريب أن نجد من المفسرين من تولى منصب القضاء واشتهر بذلك كالقاضي أبي الحسن الماوردي(ت٤٥٠هـ)، والقاضي أبي محمد بن عطية(ت٥٤٢هـ)،وناصر الدين البيضاوي(ت ٦٨٥هـ)،وأبو السعود العمادي(ت٩٨٢هـ)، والقاضي شهاب الدين الخفاجي(ت١٠٦٩هـ)،و الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، وأبو الثناء الآلوسي(ت١٢٧٠هـ) وغيرهم ممن اشتغلوا بالتدريس والإفتاء كأبي المظفر السمعاني(ت٤٨٩هـ)، ونجم الدين النسفي المشهور بمفتي الثقلين(ت٥٣٧هـ)، وأبي حيان الأندلسي(ت٧٤٥هـ) ،وعماد الدين ابن كثير(ت٧٧٢هـ)، والخطيب الشربيني (ت٩٧٧هـ) وشيخ المفتين الطاهر بن عاشور(ت١٣٩٣هـ). وهكذا نلفي المفسر أحيانا يشير إلى طرف من حياته، و شيء من مناصبه تحدثا بنعمة الله، و إخبارا لمطالع كتابه بأجواء حياته العلمية؛ فالعلماء أهل الاقتداء، ومحل السبق .آثارهم تدل على فضلهم، و تصانيفهم تشهد على صدق ولايتهم.

فهذا أحد أرباب القرن العاشر شيخ الإسلام القاضي أبو السعود العمادي(ت٩٨٢هـ) يذكر شيئا من أجواء حياته، وأحوال زمانه من الخلافة العامرة،فيقول : "وأهديها-أي فوائده التفسيرية واستنباطه الدرر السنية- إلى الخزانة العامرة الغامرة للبحار الزاخرة لجناب من خصه الله تعالى بخلافة الأرض واصطفاه سلطنتها في الطول والعرض ألا وهو السلطان الأسعد الأعظم والخاقان الأمجد الأفخم مالك الإمامة العظمى والسلطان الباهر وارث الخلافة الكبرى كابرا عن كابر....."أ.هـ إلى آخر ماذكره من أوصاف السلطان سليمان خان القانوني، ثم أعقب ذلك بالحديث عن ملابسات تصنيفه، وثقل كاهله بتنصيبه في محل القضاء، مع انشغاله بالأسفار:" وكنت أتردد في ذلك بين إقدام وإحجام لقصور شأني وعزة المرام، أين الحضيض من الذرى؟ شتان بين الثريا والثرى، وهيهات اصطياد العنقاء بالشباك، واقتياد الجوزاء من بروج الأفلاك، فمضت عليه الدهور والسنون، وتغيرت

الأطوار، وتدلت الشئون، فابتليت بتدبير مصالح العباد برهة في قضاء البلاد وأخرى في قضاء العساكر والأجناد، فحال بيني وبين ما كنت أخال تراكم المهمات، وتزاحم الأشغال وجموم العوارض والعلائق، وهجوم الصوارف والعوائق، والتردد إلى المغازي والأسفار، والتنقل من دار إلى دار، وكنت في تضاعيف هاتيك الأمور أقدر في نفسي أن أنتهز نهزة من الدهور، ويتسنى لي القرار، وتطمئن بي الدار وأظفر حينئذ بوقت خال أتبتل فيه إلى جناب ذي العظمة والجلال، وأوجه إليه وجهتي، وأسلم له سرى وعلانيتي، وأنظر إلى كل شيء بعين الشهود، وأتعرف سرّ الحقِّ في كل موجود تلافيا لما قد فات، واستعدادا لما هو آت، وأتصدى لتحصيل ما عزمت عليه، وأتولى لتكميل ما توجهت إليه برفاهة واطمئنان، وحضور قلب وفراغ جنان، فبينما أنا في هذا الخيال، إذ بدا لي ما لم يخطر بالبال تحولت الأحوال والدهر حول، فوقعت في أمر أشق من الأول أمرت بحل مشكلات الأنام فيما شجَرَ بينهم من النزاع والخصام، فلقيت معضلة طويلة الذيول، وصرت كالهارب من المطر إلى السيول، فبلغ السيل الزبى وغمرني أي غمر غوارب ما جرى بين زيد وعمرو، فأضحيت في ضيق المجال وسعة الأشغال أشهر ممن يضرب بها الأمثال فجعلت أتمثل بقول من قال:

لقد كنت أشكوك الحوادث برهة.....وأستمرض الأيام وهي صحائح
إلى أن تغشتني وقيت حوادث.....تحقق أن السالفات منائح

فلما انصرمت عرى الآمال عن الفوز بفراغ البال، ورأيت أن الفرصة على جناح الفوات، وشمل الأسباب في شرف الشتات، وقد مسنى الكبر وتضاءلت القوى والقدر، ودنا الأجل من الحلول، وأشرفت شمس الحياة على الأفول عزمت على إنشاء ما كنت أنويه، وتوجهت إلى إملاء ما ظلت أبتغيه"[1] إلى آخر ما ذكره رحمه الله .

(١) إرشاد العقل السليم(١/٥).

وهكذا يقصّ القاضي أبو السعود العمادي(ت٩٨٢هـ) طرفا من مناصبه العلمية وأعماله كالإفتاء والقضاء مما اقتضى شغل الزمان وضيق المجال وتبدّل الأحوال، وهو مع ذلك قد علا عمره وخشي دنو أجله فاعتزم على إكمال ما رام وإتمام ما قصد ومع ما ذكر من تشعب الأحوال، وانشغال البال إلا أن من يطالع تفسيره يعلم قدر مؤلفه وتبحر مصنفه فلله درّه من إمام كتب فأوعب وصنف فأجاد فكان إرشاده إرشادا، فحق له أن يكون شيخ الإسلام ومفخرة الأنام. وقد سبقه لمثل تلك الشدائد التي يلقاها المفسِّر أحيانا في تأليفه أبو حفص عمر النسفي(ت٥٣٧هـ)؛ حيث يروي أحوال تصنيفه لكتابه التيسيرقائلا:"فوجدتم مني تأبيا بأعذار، وتأنيا على حذار، واعتلالا بأن الكلام في كتاب الله شديد، والأمد في إنهائه بعيد، والذهن في الكبر كليل، والخاطر على ترادف العلل عليل، والشغل بوظائف الخاصة وحوادث العامة آناء الليل والنهار غير قليل، وخطب تفرق القلب بكثرة العيال وقلة المال جليل. » [1] وبمثل ذلك البيان سار القاضي أبو الثناء الآلوسي (١٢٧٠هـ) متحدثا عن سلطان زمانه، وخليفة أوانه فيقول:"وقد تشرف الذهن المشتت بتأليفه وأحكمت غرف مغاني المعاني بمحكم ترصيفه، زمن خلافة خليفة الله الأعظم، وظله المبسوط على خليقته في العالم مجدد نظام القواعد المحمدية، ومحدد جهات العدالة الإسلامية سورة الحمد الذي أظهره الرحمن في صورة الملك لكسر سورة الكافرين ... حضرة مولانا السلطان ابن السلطان سلطان الثقلين وخادم الحرمين المجدد الغازي محمود خان العدلي ابن السلطان عبد الحميد خان أيده الرحمن وأبد ملكه ما دام الدوران آمين، وبعد أن أبرمت حبل النية ونشرت مطوي الأمنية وعرا المخاض قريحة الأذهان وقرب ظهور طفل التفسير للعيان جعلت أفكر ما اسمه وبماذا أدعوه إذا وضعته أمه فلم يظهر لي اسم تهتش له الضمائر وتبتش من سماعه الخواطر فعرضت الحال لدى حضرة وزير الوزراء ونور حديقة البهاء ونور حدقة الوزراء آية الله التي لا تنسخها

(١) «التيسير في التفسير » (١/ ٧).

آية، ورب النهى الذي ليس له نهاية وصاحب الأخلاق التي ملك بها القلوب ومعدن الأذواق التي يكاد أن يعلم معها الغيوب مولانا علي رضا باشا لا زال له الرضا غطاء وفراشا فسماه على الفور وبديهة ذهنه تغني عن الغور «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني» فيا له اسم ما أسماه نسأل الله تعالى أن يطابقه مسماه وأحمد الله تعالى حمدا غضا، وأصلي وأسلم على نبيه النبيه حتى يرضى."[١] مشيرا إلى تحوّله عن فقه السادة الشافعية إلى السادة الحنفية إذ كان ذاك من شروط القضاء وقتئذ فيقول عند حديثه على الفاتحة:«وهو المشهور من مذهبنا وعلى المرء نصرة مذهبه والذب عنه وذلك بإقامة الحجج على إثباته وتوهين أدلة نفاته وكنت من قبل أعد السادة الشافعية لي غزية ولا أعد نفسي إلا منها، وقد ملكت فؤادي غرة أقوالهم كما ملكت فؤاد قيس ليلى العامرية فحيث لاحت لا متقدم ولا متأخر لي عنها. أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى،،،فصادف قلبا خاليا فتمكنا[٢].

إلى أن كان ما كان فصرت مشغولا بأقوال السادة الحنفية، وأقمت منها برياض شقائق النعمان واستولى عليّ من حبها ما جعلني أترنم بقول القائل: محا حبها حب الألى كنّ قبلها ... وحلت مكانا لم يكن حلّ من قبل»[٣]. وهكذا يشير المفسِّر –على قلة– إلى شيء من أيام دولته كذكر السلاطين والخلفاء، أو مناصبه كالإفتاء، أو القضاء،أو انتقاله من مذهب لآخر ؛ كما صنع العلامة أبو الثناء الآلوسي(ت١٢٧٠هـ)– مما يعدّ ذلك معلما مهما يعكس للقارئ صورة صادقة عن حياة العالم في زمانه، ومحل العلم في قُطره مع ما مرت الإشارة إليه آنفا من نشأة المفسرين وطلبهم للفنون من أصحابها ،وتحصيلهم للعلوم من أربابها. ومعلوم أن رواية المفسر شيئا من معاناته في زمانه وحكايته طرفا من تقلب الأحوال لاسيما عند تأليفه ليس بدعا من الأمر كما فعل العلامة أبو السعود

(١) روح المعاني(٥/١).
(٢) البيت من الطويل لمجنون ليلى في ديوانه ٢٨٢.
(٣) روح المعاني(٤٢/١)

العمادي(ت٩٨٢هـ)، فهذا الإمام شمس الدين ابن الجزري(ت٨٣٣هـ) يستجير في رحلته، ويستغيث في نقلته مع غربته عن الأوطان وهجوم الطوارق من الأعراب حتى أدركه لطف اللطيف وأنجده الشريف، فيقول في ختام نظمه الدرة :

غَرِيْبَـةُ أَوْطَـانٍ بِنَجْـدٍ نَظَمْتُـهَـا ... وَعُظْمُ اشْـتِغَالِ الْبَالِ وَافٍ وَكَيْفَ لَا
صُـدِدْتُ عَنِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَزَوْرِيَ الْ ... مَقَامَ الشَّرِيْفَ الْمُصْطَفَى أَشْرَفَ الْمَلَا
وَطَوَّقَنِي الأَعْرَابُ بِاللَّيْـلِ غَفْلَـةً ... فَمَـا تَرَكُوا شَـيْئًـا وَكِـدْتُ لأُقْتَلَا
فَـأَدْرَكَـنِيْ الـلُّـطْـفُ الْخَـفِـيُّ وَرَدَّنِيْ ... عُـنَـيْـزَةَ حَـتَّى جَـاءَنِي مَـنْ تَـكَـفَّـلَا
بِحَمْلِي وَإِيْصَـالِي لِطَيْبَـةَ آمِنًـا ... فَـيَـا رَبِّ بَـلِّغْنِي مُرَادِيْ وَسَـهِّلَا
وَمُنَّ بِجَمْعِ الشَّـمْـلِ وَاغْفِرْ ذُنُوبَنَـا ... وَصَـلِّ عَلَى خَيْرِ الأَنَامِ وَمَنْ تَلَا[1]

(١) الدرة المضية لابن الجزري (ص٤١).

المبحث الثاني: معالم مناهج المفسرين في توصيف كتب التفسير.

مما يظهر للقارئ الحصيف مدى اهتمام المفسرين بكتب التفسير ما يطالعه من تمحيص العبارات ، و تدقيق الإشارات مع ما عنوا به من تحرير الأقوال المعتبرة، وتفنيد الآراء الواهية ، وتضعيف الروايات الباطلة، واختيار الفروع الفقهية، وترجيح المسائل الخلافية، وتقرير القواعد الأصولية ، إضافة إلى ما استنبطوه من درر فوائد المعاني، وقلائد عقود المباني.

المطلب الأول: عنوان الكتاب:

لاجرم أن يجد القارئ نفسه أمام ثلة من عناوين التفاسير التي تحمل بين عباراتها مناهج مؤلفيها وتطوي تحت حروفها مقاصد مصنفيها فكأني بالقارئ الكريم يقلب صفحات تفسير جامع البيان في تأويل القرآن للطبري(٣١٠هـ) أترى تفسيرا مُصَّدرا رسمُه بالجامع؟ فأيُّ أقوالٍ حوى وأي مرويات روى؟ فحُق لمصنِّفه أن يلقب بشيخ المفسرين، وبنحو عنوانه الجامع انتهج الإيجي(ت٩٠٥هـ) فسمّى تفسيره "بجامع البيان" مقتديا في ذلك بالطبري ، ولكن القرطبي(ت٦٧١هـ) جمع الفروع الفقهية فسمى تفسيره "بجامع أحكام القرآن" جامعا فيه بين كتب تفسير آيات الأحكام كالجصاص وابن العربي والقفال وبين كتب التفسير.

ومن دوحة إلى أخرى فمن الجوامع إلى البحار فذا أبو الليث السمرقندي(ت٣٣٧هـ) اعتبر القرآن "بحر العلوم" فلا يكون تفسيره إلا استسقاء من ذلك البحر الذي لاتكدِّره الدلاء، وأوسع أبو حيان الأندلسي(ت٧٤٥هـ) في كتابه فسمى تفسيره "بالبحر المحيط" وكأنه العباب الحاوي فجمع فيه شواذ القراءات بعد متواترها وعدد أقوال النحاة، وكأنه رام تفسيرا يحيط بالعلوم في بحار معرفة كلام العزيز العليم.

ولما كان الغوص في معاني كلام اللطيف الخبير يحتاج إلى "الكشف والبيان" انبرى أبو إسحاق الثعلبي(ت٤٢٧هـ) في تفسيره فسمَّاه بذلك، ومن بعده جار الله الزمخشري(ت٥٨٣هـ) في كشافه الموسوم "بالكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون

الأقاويل في وجوه التأويل" فكأن عويص المعاني يعوزه التنقيب وغامض التأويل يحوجه البحث الدؤوب، وحق له في تلك التسمية، فالكشاف عمدة لمن بعده وتحصيل لمن قبله، مع ما انماز به من حسن العبارة، وتدقيق الفكرة، واختيار التوجيه. هذا، ولبديع الاتفاق بين لفظي التفسير والتأويل آثر البعض الاكتفاء بنعت التفسير بالتفسير فهو أول الاصطلاحات ببيان المراد وبه سمي العلم ونسبت إليه المؤلفات مع اختلاف يسير كالعظيم والعزيز كابن أبي زمنين(ت٣٩٩هـ)، وأبي المظفر السمعاني(ت٤٨٩هـ)، والراغب(ت٥٠٢هـ)، وعلم الدين السخاوي(ت٦٤٣هـ) وابن كثير(ت٧٧٤هـ)، والآخر اختار التأويل فذا أبو منصور الماتريدي(ت٣٣٣هـ) سمّاه "تأويلات أهل السنة"، وكذلك الخازن(ت٧٤١هـ) "بلباب التأويل"، والقاسمي(ت١٣٣٢هـ) في محاسن التأويل، وثالث أفصح عن لفظ البيان بين جامع البيان كما مر للطبري والإيجي وبين "إيجاز البيان" للنيسابوري(ت٥٥٠هـ)، و"فتح البيان" للقنوجي(ت١٣٠٧هـ). واعلم أيها القارئ الكريم أنّ المفسّر ينظر وراء مراد التنزيل، فإن تلمس معالمه سماه "معالم التنزيل" كالبغوي(ت ٥١٠هـ)، وبمثله النسفي(ت٧١٠هـ) في "مدراك التنزيل"، وإن رام مقصده سماه "الهداية إلى بلوغ النهاية" كمكي بن أبي طالب(ت٤٧٣هـ)، أو إرشادا كأبي السعود العمادي(ت٩٨٢هـ) في "إرشاد العقل السليم"، وإن رآه عجالة المسافر وزاد المرتحل سماه "زاد المسير" كابن الجوزي(ت٥٩٧هـ).

مَن لك بكتاب لا تنقضي عجائبه حيثما يمّمت وجهك شطر تفسيره لقيت "النكت والعيون" كما سمّى الماوردي(ت٤٥٠هـ)، أو "الجواهر الحسان" كما وسم الثعالبي(ت٨٧٥هـ)، أو "الدر المنثور" كما أطلق السيوطي(ت٩١١هـ)، تمتزج في بيانه "الغرائب والرغائب" كما وصف النيسابوري(ت ٨٥٠هـ)، ومع ذلك ففي تفسير التنزيل تلوح "أنوار التنزيل" كما وصف البيضاوي(ت٦٨٥هـ)، ويتجلى السراج المنير كما انتخب الخطيب الشربيني(ت٩٧٧هـ) تفسيره بذلك فسمّاه "السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير"، وحسبك من كتب جمعت فحوت، وروت فأسندت، وذكرت فأوعبت، إلا أن أربابها أردفوا ما أوردوه فيها بالتحرير واختاروا من الجم الكثير

ما يوائم المعنى ويوافق السياق، فاعتبروا مؤلفاتها حدًّا فاصلا ومعلما أصيلا في فهم كلام العزيز الحكيم، ومن ثمّ اختار القاضي ابن عطية(ت٥٤٢هـ) "المحرّر الوجيز" واختار ابن عادل الحنبلي(ت٨٨٥هـ) كتابه باسم "اللباب" واحتفى الطاهر ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ) بتفسيره أيما احتفاء، فكانت اختياراته بادية على محيا صفحات الكتاب، فسمّاه «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، بل بلغت العناية به أن سمى الشهاب(ت١٠٥٦هـ) حاشيته على تفسير البيضاوي(ت٦٨٥هـ)"بعناية القاضي"، ولعل تلك الغوامض والدقائق تقتضي طرقا لأبوابها يستدعي "مفاتيح الغيب" كما سمى فخر الدين الرازي(ت٦٠٦هـ)، أو فتوحا "كفتوح الغيب" للطيبي(٧٤٣هـ)، أو "فتح الرحمن" للمقدسي(ت٩٢٧هـ)، أو "فتح القدير" للقاضي الشوكاني(ت١٢٥٠هـ) ، وبهذا الفتح أشرقت أنوار التسهيل، وبدت أنجم التنزيل، فانتخبت طائفة تسمية تفاسيرهم بأوصاف ما يجدون من منهج قويم وسبيل مستقيم، فكان الواحدي (ت٤٦٨هـ) بتفاسيره الثلاثة" البسيط والوسيط والوجيز" ، وكذلك النسفي (ت٥٣٧هـ) في "التيسير" وابن جزي الكلبي(ت٧٤١هـ) في "التسهيل"، حتى ترقّت تلك المعاني السامقة، والعبارات الرائقة في بيان كلام الله العلي الكبير، فوسم أبو الثناء الآلوسي(ت١٢٧٠هـ) كتابه "بروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني" فكان روحا –كما قال –به حياة الأرواح وسعادة القلوب وأُنس النفوس.

فعنوان الكتاب أمارة مقصود، وبيان مراد، ومن ثَمّ تنوعت أسماء التفاسير وتعددت، كما تقدمت الإشارة إليه آنفا، ومعلوم أن أضرب التأليف في التفسير إما استقلال وإما اختصار وإما حواشٍ ولكل سبيله في التصنيف ومنهجه في التناول والعرض. ولاريب أن عناوين الكتب تُعلم من كتب التراجم والطبقات، وتارة من كتب اصطلاحات الفنون ، وتارة ممن نقل عنه ، واستفاد منه وهذا شائع معروف في توثيق الكتب لأصحابها وتعيين نسبتها لأربابها، ولكن تصريح المفسر، بتسمية كتابه أوثق، وذكره لعنوان تصنيفه أدقّ، هذا، وإن المستقرئ لكتب التفسير قاطبة –على تنوعها في التصنيف بين مؤلفات ومختصرات وحواش– ليرى أن المفسرين في باب التسمية على مسالك ثلاثة:

الأول : مسلك التصريح: عُني غالب المفسرين في صدر تفاسيرهم بتسميتها بأوفق العبارات، وأوجز الكلمات التي تفصح عن المراد، وهذا الأصل في تسمية المصنفين أسماء كتبهم، كالثعلبي (ت٤٢٧هـ)، في كشفه إذ يقول :"وسميته كتاب "الكشف والبيان عن تفسير القرآن" [١]، وكذا الواحدي(ت٤٦٨هـ) في تفاسيره الثلاثة، فيقول: «وقديما كنت أطالب بإملاء كتاب في تفسير (وسيط) ينحط عن درجة (البسيط) الذي تجر فيه أذيال الأقوال، ويرتفع عن مرتبة (الوجيز) الذي اقتصر على الإقلال.» [٢] **، كما أن المفسِّر قد يشرح الاسم تارة** كمكي(ت٤٣٧هـ) بما يفهم عنوانه ويبيّن مقصوده، فقال:"وسميت هذا الكتاب: "الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه". أعني بقولي: بلوغ النهاية: أي إلى ما وصل إلي من ذلك لأن علم كتاب الله لا يقدر أحد أن يبلغ إلى نهايته إذ فوق كل ذي علم عليم.أ.هـ[٣] **وقد يكون أشير عليه باسم الكتاب،** كما حكى العلامة الآلوسي(ت١٢٧٠هـ)فيما مر –آنفا– فقال: فعرضت الحال لدى حضرة وزير الوزراء ونور حديقة البهاء ....مولانا علي رضا باشا لا زال له الرضا غطاء وفراشا فسماه على الفور وبديهة ذهنه تغني عن الغور «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني» فيا له اسم ما أسماه نسأل الله تعالى أن يطابقه مسماه وأحمد الله تعالى حمدا غضا، وأصلي وأسلم على نبيه النبيه حتى يرضى."[٤].

وقد يسميه المفسِّر باسم ثم يختصره كصنيع الطاهر بن عاشور(ت١٣٩٣هـ):" وسميته: «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، واختصرت هذا الاسم باسم «التحرير والتنوير من التفسير»[٥]

---

(١) « الكشف والبيان » (٢/ ١٧).

(٢) «التفسير الوسيط للواحدي» (١/ ٥٠).

(٣) «الهداية الى بلوغ النهاية» (١/ ٧٣).

(٤) روح المعاني(١/٥).

(٥) « التحرير والتنوير» (١/ ٩).

الثاني: مسلك العزو : كما أنه قد **يعزو المفسِّر –أحيانا –تسمية تفسيره في بعض كتبه** مثل الطبري(ت٣١٠هـ) ،فإنه لم يصرح باسم تفسيره في مقدمته إلا أنه ذكره في تاريخه عند حديثه عن خلق آدم عليه السلام بقوله:«وقيل أقوال كثيرة في ذلك، قد حكينا منها جملا في كتابنا المسمى:جامع البيان عن تأويل آي القرآن، فكرهنا إطالة الكتاب بذكر ذلك في هذا الموضع.»[١] **وقد يعزو غيره من المفسرين اسم الكتاب لمؤلفه** كبحر العلوم للسمرقندي عزاه له صاحب روح البيان باسم بحر العلوم فقال:«ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ثم أخلصوا التوبة واستقيموا عليها كما في بحر العلوم للسمرقندى» [٢]، وتبعه صاحب التفسير والمفسرون، بل عدَّه من التفاسير بالمأثور لكثرة اعتماد مؤلفه على المرويات والآثار[٣]، إلا أن صاحب الجواهر المضية ذكر أن له تفسيرا للقرآن[٤] ولم يسمِّه ببحر العلوم ، فلعلها–أي التسمية– من فعل النُّسَّاخ ، والله أعلم.

الثالث: مسلك التضمين: وأحيانا لا يصرح المفسر باسم كتابه بل بمضمون التسمية، فيشتهر بها كالبغوي(ت٥١٠هـ) في قوله: «فسألني جماعة من أصحابي المخلصين– وعلى اقتباس العلم مقبلين– كتابا في معالم التنزيل وتفسيره، فأجبتهم إليه معتمدا على فضل الله تعالى وتيسيره»[٥]، والقاضي بن عطية (ت٥٤٢هـ) في قوله : «ففزعت إلى تعليق ما يتخيل لي في المناظرة من علم التفسير وترتيب المعاني، وقصدت فيه أن يكون جامعا وجيزا محررا،»[٦]

---

(١) تاريخ الرسل والملوك، للطبري (١/ ٨٩).

(٢) «روح البيان» (٤/ ٩١)، قلت: أكثر صاحب روح البيان من اعتماده على السمرقندي في تفسيره، بل كان من أهم مصادره.

(٣) «التفسير والمفسرون» (١/ ١٦١).

(٤) فقال عند ترجمته :" وله تفسير القرآن"«الجواهر المضية في طبقات الحنفية» (٢/ ٧١٨ ت الحلو).

(٥) «معالم التنزيل» (١/ ٤٦).

(٦) « المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» (١/ ٣٤).

المطلب الثاني: وصف الكتاب:

يتجلَّى في وصف الكتاب منهجيّة مؤلِّفه في وضعه، فلا يعدو الأمر أن يكون ثناء محضا، بل يتجاوز ذلك إلى بيان مفصَّل، فبراعة الاستهلال في بدايات كتب التفسير، وعند الحديث عن التفاسير أنفسها، والأول أوفق بفن التفسير وأنسب بمقام التأويل والثاني أصرح في منهجية المفسّرين، وأدلّ على طريقة المفسّرين فترى المفسّر يصف كتابه بما ينبغي أن يكون عليه التفسير من بيان للمعاني، وإيراد للمرويات، وحكاية للأقوال، واختيار للفوائد والنكات، واستنباط للفروع، فهذا الطبري(ت٣١٠هـ) يقرِّر وصف تفسيره بالاستيعاب والاكتفاء به عن غيره من المصنفات، مرصِّعا ذلك بأسانيده إلى الأئمة الأعلام، مع بيان توجيه الخلاف، واختيار أصح الأقوال ، فيقول:"ونحن في شرح تأويله وبيان ما فيه من معانيه، منشئون، إن شاء الله ذلك، كتابا مستوعبا لكل ما بالناس إليه الحاجة من علمه، جامعا، ومن سائر الكتب غيره في ذلك كافيا، ومخبرون في كل ذلك بما انتهى إلينا من اتفاق الحجة فيما اتفقت عليه منه، واختلافها فيما اختلفت فيه منه، ومبينو علل كل مذهب من مذاهبهم، وموضحو الصحيح لدينا من ذلك، بأوجز ما أمكن من الإيجاز في ذلك، وأخصر ما أمكن من الاختصار فيه"أ.هـ [١] ، ومن بعده أبو إسحاق الثعلبي(ت٤٢٧هـ) يبين منهجا فريدا في تصنيف كتابه ، فيقول بعد ذكر غرضه من تصنيفه:«وأرجو أن لا يخلو هذا الكتاب من هذِه الخصال التي ذكرت، والله الموفق لإتمام ما نويت وقصدت. وخرجت فيه الكلام على أربعة عشر نحوًا: البسائط والمقدمات، والعدد والتنزيلات، والقصص والنزولات، والوجوه والقراءات، والعلل والاحتجاجات، والعربية واللغات، والإعراب والموازنات، والتفسير والتأويلات، والمعاني والجهات، والغوامض والمشكلات، والأحكام والفقهيات، والحكم والإشارات، والفضائل والكرامات، والأخبار المتعلقات، أدرجتها في أثناء الكتاب بحذف الأبواب،» [٢] .ولا يحسب القارئ الكريم أن ذلك من نهج المتقدمين كالطبري والثعلبي فقط، بل هذا الطاهرابن عاشور (١٣٩٣هـ) يسطِّر أبلغ وصف في تفسيره وأجمعه، فيقول:«وعسى أن يجد فيه المطالع

(١) « جامع البيان» (١/ ٧).

(٢) « الكشف والبيان عن تفسير القرآن ط دار التفسير» (٢/ ١٧).

تحقيق مراده، ويتناول منه فوائد ونكتا على قدر استعداده، فإني بذلت الجهد في الكشف عن نكت من معاني القرآن وإعجازه خلت عنها التفاسير، ومن أساليب الاستعمال الفصيح ما تصبو إليه همم النحارير، بحيث ساوى هذا التفسير على اختصاره مطولات القماطير، ففيه أحسن ما في التفاسير، وفيه أحسن مما في التفاسير.»[١] ومن أوائل القرن الرابع الهجري إلى أوساط القرن السادس مع الإمام أبي حفص عمر النسفي(ت٥٣٧هـ) في تفسيره التيسير:«طال ما سألتموني معاشر أهل العلم –آتاكم الله سؤلكم، وسهل إلى المرادات وصولكم– جمع كتاب في تفسير القرآن سهل ممتنع، وجيز مستجمع، شغفا منكم بكلامي، وحبا منكم واستعذابا لنظامي، وثقة باختياري، ورضى بإيرادي وإصداري. » [٢]، وحسب القارئ الكريم في القرن السادس كشاف الزمخشري(ت٥٣٨هـ)، ومحرّر ابن عطية(ت٥٤٢هـ) فللّه درهما من إمامين زينة المشرق والمغرب، **فأما جار الله فقال في مقدمة كشافه؛ مقرِرا نظرية النظم مطبقا إيّاها في تفسيره:**" مرتاضا غير ريض بتلقيح بنات الفكر قد علم كيف يرتب الكلام ويؤلف، وكيف ينظم ويرصف.."[٣]، ثم اعتبر– رحمه الله– علمي المعاني و البيان عمود التفسير، فقال :" لأنّ الخوض فيه كفرض العين ما أرى عليه الزمان من رثاثة أحواله وركاكة رجاله وتقاصر هممهم عن أدنى عدد هذا العلم فضلا أن تترقى إلى الكلام المؤسس على علمى المعاني والبيان، فأمليت عليهم مسألة في الفواتح، وطائفة من الكلام في حقائق سورة البقرة وكان كلاما مبسوطا كثير السؤال والجواب طويل الذيول والأذناب، وإنما حاولت به التنبيه على غزارة نكت هذا العلم وأن يكون لهم مناراً ينتحونه ومثالا يحتذونه"[٤]، **وأما القاضي ابن عطية(ت٥٤٢هـ) فيقرِّر منهجيته في وصف كتابه بالجمع، وإثبات أقوال العلماء :**" ففزعت إلى تعليق ما يتخيل لي في المناظرة من علم التفسير وترتيب المعاني، وقصدت فيه أن يكون جامعا وجيزا محررا، لا أذكر من القصص إلا ما لا تنفك الآية إلا به، وأثبت أقوال العلماء في

(١) «تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير» (١/ ٨)
(٢) «التيسير في التفسير » (١/ ٧).
(٣) الكشاف (٣/١).
(٤) الكشاف (٣/١).

المعاني منسوبة إليهم على ما تلقى السلف الصالح– رضوان الله عليهم– كتاب الله من مقاصده العربية السليمة من إلحاد أهل القول بالرموز، وأهل القول بعلم الباطن، وغيرهم، فمتى وقع لأحد من العلماء الذين قد حازوا حسن الظن بهم لفظ ينحو إلى شيء من أغراض الملحدين، نبهت عليه، وسردت التفسير في هذا التعليق بحسب رتبة ألفاظ الآية من حكم، أو نحو، أو لغة، أو معنى، أو قراءة، وقصدت تتبع الألفاظ حتى لا يقع طفر كما في كثير من كتب المفسرين..... واعتمدت تبيين المعاني وجميع محتملات الألفاظ، كل ذلك بحسب جهدي وما انتهى إليه علمي، وعلى غاية من الإيجاز وحذف فضول القول. وأنا أسأل الله جلت قدرته، أن يجعل ذلك كله لوجهه، وأن يبارك فيه وينفع به، وأنا وإن كنت من المقصرين فقد ذكرت في هذا الكتاب كثيرا من علم التفسير، وحملت خواطري فيه على التعب الخطير، وعمرت به زمني، واستفرغت فيه مننى، إذ كتاب الله تعالى لا يتفسر إلا بتصريف جميع العلوم فيه، وجعلته ثمرة وجودي، ونخبة مجهودي، فليستصوب للمرء اجتهاده، وليعذر في تقصيره وخطئه وحسبنا الله ونعم الوكيل."[1] ومع عظم مكانة الكتابين باعتبارهما من أهم مصادر التفسير، بل يعدان عمدة لما بعدهما؛ فهما مفخرة القرن السادس الهجري بلا نزاع، ومن طالع مقدمتهما عرف قدر مؤلفيهما، ومن نظر في بديع كلام الزمخشري، ومن تأمل تقرير ابن عطية وقف على تحرير أقوال المفسرين وتفنيد الآراء الضعيفة والروايات الواهية، وقلّ أن تجد تفسيرا إلا وتناوله مؤلّفه بالبيان حتى عدّ ذلك سمة بارزة في كتب التفسير، ولم يكتف الوصف بالمفسرين لكتبهم فقط، بل شهادة غيرهم من أهل الفن أوثق، وكلام المفسرين في كتب التفسير أحرى بالقبول من كلام ، في كتابه، فهذا أبوحيان الأندلسي(ت٧٤٥هـ) قد اعتمد كتابي الزمخشري وابن عطية ، فوصفهما بما لا مزيد عليه في مقدمة تفسيره، فقال:" وهذا أبو القاسم محمود بن عمر المشرقي الخوارزمي الزمخشري وأبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المغربي الغرناطي، أجل من صنف في علم التفسير، وأفضل من تعرض للتنقيح فيه والتحرير. وقد اشتهرا ولا كاشتهار الشمس، وخلدا في الأحياء وإن هداني في الرمس، وكلامهما فيه يدل على تقدمهما في علوم، من منثور ومنظوم، ومنقول

(١) المحرر الوجيز (٣٥/١).

ومفهوم، وتقلب في فنون الآداب، وتمكن من علمي المعاني والإعراب، وفي خطبتي كتابيهما وفي غضون كتاب الزمخشري ما يدل على أنهما فارسا ميدان، وممارسا فصاحة وبيان.....ولما كان كتاباهما في التفسير قد أنجدا وأغارا، وأشرقا في سماء هذا العلم بدرين وأنارا، وتنزلا من الكتب التفسيرية منزلة الإنسان من العين، والذهب الإبريز من العين، ويتيمة الدر من اللآلي، وليلة القدر من الليالي، فعكف الناس شرقا وغربا عليهما، وثنوا أعنة الاعتناء إليهما. وكان فيهما على جلالتهما مجال لانتقاد ذوي التبريز، ومسرح للتخييل فيهما والتمييز، ثنيت إليهما عنان الانتقاد، وحللت ما تخيل الناس فيهما من الاعتقاد. أنهما في التفسير الغاية التي لا تدرك، والمسلك الوعر الذي لا يكاد يسلك، وعرضتهما على محك النظر، وأوريت فيهما نار الفكر، حتى خلص دسيسهما، وبرز نفيسهما، وسيرى ذلك من هو للنظر أهل، واجتمع فيه إنصاف وعدل، فإنه يتعجب من التولج على الضراغم، والتحرز لأشبالها والأنف راغم، إذ هذان الرجلان هما فارسا علم التفسير، وممارسا تحريره والتحبير. نشراه نشرا، وطار لهما به ذكرا، وكانا متعاصرين في الحياة، متقاربين في الممات.....وكتاب ابن عطية أنقل وأجمع وأخلص، وكتاب الزمخشري ألخص وأغوص، إلا أن الزمخشري قائل بالطفرة، ومقتصر من الذؤابة على الوفرة، فربما سنح له آبي المقادة فأعجزه اغتياصه، ولم يمكنه لتأنيه اقتناصه، فتركه عقلا لمن يصطاده، وغفلا لمن يرتاده، وربما ناقض هذا المنزع، فثنى العنان إلى الواضح، والسهل اللائح، وأجال فيه كلاما، ورمى نحو غرضه سهاما، هذا مع ما في كتابه من نصرة مذهبه، وتقحم مرتكبه، وتجشم حمل كتاب الله عز وجل عليه، ونسبة ذلك إليه، فمغتفر إساءته لإحسانه، ومصفوح عن سقطه في بعض لإصابته في أكثر تبيانه "[1] وكفى بشهادة أبي حيان الأندلسي بيانا، وبوصفه تقريرا وتبيانا، فهو إمام في القراءة واللغة والتفسير مشهود له بالتقدم، معروف برسوخ القدم في الفنون، والتفنّن في العلوم ، بل إنه من عظيم العناية بهما والإشادة بهما، أورد إسناده لهما، فاعتبرهما من أهم مصادره في تفسيره–رحمه الله–.

(١) البحر المحيط (٢٢/١).

المطلب الثالث: شرطه في كتابه:

يعبِّر المفسِّر عن منهجه في كتابه –أحيانا– بالشرط، فيعيِّن معالم طريقته في تفسيره من إضافة الأقوال، وعزو الآثار وغير ذلك –سابقا بذلك الباحثين والدارسين في أبحاثهم– بما يعرف بإجراءات البحث ومعالم التأليف المفسر.

فهذا الإمام القرطبي(ت٦٧١هـ) **يصرِّح بشرطه في تفسيره،** فيقول: «وشرطي في هذا الكتاب: إضافة الأقوال إلى قائليها، والأحاديث إلى مصنفيها، فإنه يقال: من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله. وكثيرا ما يجئ الحديث في كتب الفقه والتفسير مبهما، لا يعرف من أخرجه إلا من اطلع على كتب الحديث، فيبقى من لأخبره له بذلك حائرا، لا يعرف الصحيح من السقيم، ومعرفة ذلك علم جسيم، فلا يقبل منه الاحتجاج به، ولا الاستدلال حتى يضيفه إلى من خرجه من الأئمة الأعلام، والثقات المشاهير من علماء الإسلام. ونحن نشير إلى جمل من ذلك في هذا الكتاب، والله الموفق للصواب.» [١].

وقد يعبر المفسِّر عن شرطه **دون النص على ذلك بأنه شرط؛** كما ذكر أبو القاسم بن جزي الكلبي(ت٧٤١هـ) في مقدمة التسهيل، فيقول: «على أني لست أنسب الأقوال إلى أصحابها إلّا قليلا، وذلك لقلة صحة إسنادها إليهم، أو لاختلاف الناقلين في نسبتها إليهم، وأما إذا ذكرت شيئا دون حكاية قوله عن أحد فذلك إشارة إلى أني أتقلده وأرتضيه سواء كان من تلقاء نفسي، أو مما أختاره من كلام غيري، وإذا كان القول في غاية السقوط والبطلان لم أذكره تنزيها للكتاب، وربما ذكرته تحذيرا منه، وهذا الذي من الترجيح والتصحيح مبنيّ على القواعد العلمية، أو ما تقتضيه اللغة العربية، وسنذكر بعد هذا بابا في موجبات الترجيح بين الأقوال إن شاء الله.»[٢]

(١) « الجامع لأحكام القرآن» (١/ ٣).
(٢) « التسهيل لعلوم التنزيل» (١/ ١١).

وتارة يلتمس المفسّر من القارئ أو المطالع تقويم ما زل به القلم، أو وهم فيه الناسخ، ودعاء مترحم واستغفار مبتهل للمؤلف بصنوف الدعاء وألوان الرجاء، فهاهو أبو محمد مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ) يقول: "فواجب على كل ذي دين ومروءة كَتَب كتابنا هذا أو قرأه أن يغمض عن زلل كاتب أو وهم ناسخ إن وجده فيه، ويشكر الله على ما يستفيده منه ويسمح في وهم أو غلط إن وقع منا فيه، فالعصمة لا يدعيها أحد بعد الأنبياء صلوات الله عليهم.

أسأل الله التوفيق لما يُزلف لديه ويقرب منه، وأرغب إليه جل ذكره أن يجعله [لوجهه خالصا] ، وأن يغفر لمن ترحم علينا ودعا لنا بالمغفرة. فما أخرجت هذا الكتاب وبذلته للناس بعد أن كنت عملته في صدر العمر وجمام الفهم لنفسي خاصة ولمذاكرتي مفرداً، إلا طمعاً أن يترحم علينا مع طول الزمان مترحم، أو يستغفر لنا من أجله مستغفر، أو يذكرنا بالخير عليه ذاكر، مع ما «[نرجو من ثواب الله]، عليه في انتفاع دارسيه واكتفائهم به عن سائر كتب المفسرين، وأهل المعاني، وسائر أكثر علوم كتاب الله تعالى.»[1]

(١) «الهداية الى بلوغ النهاية» (١/ ٧٦).

المطلب الرابع: مصادره:

الوقوف على مصادر المفسر، من مهمات التصنيف؛ فبها تدرك مسارات التفسير واتجاهات التأويل، كما أن معرفة المصادر تجعل الناظر يدرك أول الإيراد خاصة في نسبة الأقوال، وذكر الآراء، مع ما في ذلك من يُسر العود إلى من أخذ منه ،، فلربما صحّ النقل ووهم القارئ في تأويل كلام المفسِّر وبيان وجه إيراده، إضافةً إلى ما في معرفة المصادر من تعيين منهجية المصنف في اختياراته، كما أنها تثري القارئ بالاطلاع على مصنفات التفسير مما وقع للمتأخرين أو لم يقع فذهب رسمه ولم يبق إلا اسمه، مع ما في ذلك من توثيق العلم ونسبته إلى أهله، ورحم الله الإمام أبا زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)؛ إذ يقول:«ومن النصيحة أن تضاف الفائدة التي تستغرب إلى قائلها، فمن فعل ذلك بورك له في علمه وحاله ومن أوهم ذلك وأوهم فيما يأخذه من كلام غيره أنه له، فهو جدير أن لا ينتفع بعلمه، ولا يبارك له في حال. ولم يزل أهل العلم والفضل على إضافة الفوائد إلى قائلها نسأل الله تعالى التوفيق لذلك دائما.»[(١)]، ومن ثمّ تجد المفسِّر يعدِّد مصادر كتابه كما يعدِّد شيوخه كما مر آنفا من صنيع العلامة الواحدي(ت٤٦٨هـ) والإمام أبي حيان الأندلسي(ت٧٤٥هـ) وغيرهما.

ولعل القارئ الكريم يطالع تفسيرا بيَّن مؤلفه مصادره فيهتدي إلى منهجه من مقدمته بمصنفات التفسير التي اعتمد عليها، فهذا أبو إسحاق الثعلبي(ت٤٢٧هـ) يقدِّم معتمده في تفسيره من التفاسير المأثورة عن الصحابة والتابعين ثم تآليف المعاصرين له في التفسير، ثم كتب الغريب والمعاني مسندة إلى أربابها فيقول: "وهذه أسماء الكتب التي عليها مباني كتابنا هذا [أذكرها] لئلّا نحتاج إلى تكرار الأسانيد وبالله التوفيق.....إلخ»[(٢)] وقد ذكر زهاء سبعة وعشرين تفسيرا مسندا يستهل بابن عباس رضي الله عنهما ويختتم بالمسيب بن شريك، ثم ذكر من تفاسير المعاصرين له قرابة

(١) «بستان العارفين للنووي» (ص١٦).

(٢) « الكشف والبيان عن تفسير القرآن» (١/ ٧٥).

عشرة تفاسير، ثم ذكر ستة من المعاني وواحدا من الغريب، فجملة ما عدَّده–رحمه الله– من المصادر أربعة وأربعون كتابا يذكرهم بأسانيده إلى مصنفيهم ، فللّه درّه من إمام حق فيه قول الواحدي (ت٤٦٨هـ) وهو ممن لقيه وأخذ عنه : «ثم فرغت للأستاذ الإمام "أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي" رحمه الله، وكان حبر العلماء بل بحرهم، ونجم الفضلاء بل بدرهم، وزين الأئمة بل فخرهم، وأوحد الأمة بل صدرهم، وله التفسير الملقب بـ"الكشف والبيان عن تفسير القرآن" ، الذي رفعت به المطايا في السهل والأوعار، وسارت به الفلك في البحار، وهبت هبوب الريح في الأقطار: وسار مسير الشمس في كل بلدة ...."[1]. **ومن بديع ما يذكره المفسرون في مصادرهم تعديدهم تفاسير –لعلها مفقودة–** كمثل الكامل للثعلبي الذي قرأه عليه الواحدي فقال: وقرأت عليه من مصنفاته أكثر من خمسمائة جزء، وتفسيره الكبير، وكتابه المعنون بـ"الكامل في علم القرآن" وغيرهما.[2]، وكمثل الذي ذكره مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ) في الهداية بقوله:« جمعت أكثر هذا الكتاب من كتاب شيخنا أبي بكر الأدفوي –رحمه الله –وهو الكتاب المسمى بكتاب (الاستغناء) المشتمل على نحو ثلاثمائة جزء في علوم القرآن. اقتضيت في هذا الكتاب نوادره وغرائبه ومكنون علومه مع ما أضفت إلى ذلك من الكتاب الجامع في تفسير القرآن، تأليف أبي جعفر الطبري وما تخيرته من كتب أبي جعفر النحاس، وكتاب أبي إسحاق الزجاج، وتفسير ابن عباس، وابن سلام، ومن كتاب الفراء، ومن غير ذلك من الكتب في علوم القرآن والتفسير والمعاني والغرائب والمشكل. انتخبته من نحو ألف جزء أو أكثر مؤلفة من علوم القرآن مشهورة مروية.»[3] ولم يكن الثعلبي وحده من عدَّد مصادره في تفسيره فهذا أبو محمد البغوي(ت٥١٠هـ) انتهج طريقة الثعلبي فذكر أسانيده للتفاسير المأثورة وغيرها من كتب الأخبار والمغازي كالمبتدإ لوهب بن منبه والمغازي لابن إسحاق ، ثم قال : «فهذه أسانيد أكثر ما نقلته عن هؤلاء الأئمة وهي مسموعة من طرق سواها، تركت ذكرها حذرا من الإطالة، وربما حكيت عنهم أو عن

(١) «التفسير البسيط» (١/ ٤٢٥).
(٢) المصدر السابق (١/ ٤٢٥).
(٣) «الهداية الى بلوغ النهاية» (١/ ٧٥).

غيرهم من الصحابة أو التابعين قولا سمعته بغير هذه الأسانيد [أذكر أسانيد] بعضها في موضعه من الكتاب إن شاء الله تعالى عز وجل.»[1].

وقد يعتمد المفسِّر كتابا بعينه من التفسير يعتبره أصلا له، فهذا أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد البسيلي التونسي (ت ٨٣٠هـ) يقرر مصادر شيخه ابن عرفة (ت٨٠٣هـ) في تفسيره بعد أن ترجم له –كصنيع الواحدي في البسيط إذ ترجم لبعض شيوخه ممن أخذ عنه –فيقول:" وكان– رحمه الله مستجاب الدعاء، ومما رأيت من بركته أني كنت أجلس قبالته بمجلس تدريسه فربما تكلم معي بما يقع في خاطري، وكان اعتماده في التفسير على ابن عطية، والزمخشري مع الطِّيبيّ وُيضَعف تفسير ابن الخطيب.»[2].
وهذا نظام الدين النيسابوري(ت٨٥٠هـ) يشيد بتفسيري الكشاف ومفاتيح الغيب فيقول: «ولما كان **التفسير الكبير** المنسوب إلى الإمام الأفضل والهمام الأمثل، الحبر النحرير والبحر الغزير، الجامع بين المعقول والمنقول الفائز بالفروع والأصول، أفضل المتأخرين فخر الملة والحق والدين محمد بن عمر بن الحسين الخطيب الرازي تغمده الله برضوانه وأسكنه بحبوحة جنانه، اسمه مطابق لمسماه وفيه من اللطائف والبحوث ما لا يحصى، ومن الزوائد والغثوث ما لا يخفى، فإنه قد بذل مجهوده ونثل موجوده حتى عسر كتبه على الطالبين وأعوز تحصيله على الراغبين، فحاذيت سياق مرامه، وأوردت حاصل كلامه، وقربت مسالك أقدامه، والتقطت عقود نظامه، من غير إخلال بشيء من الفرائد أو إهمال لما يعدّ من اللطائف والفوائد، وضممت إليه ما وجدت **في الكشاف** وفي سائر التفاسير من اللطائف المهمات»[3].

ولعل ممن أجاد وأحسن وجمع بين الشرط والمصادر العلامة أبو زيد عبد الرحمن الثعالبي(ت٨٧٥هـ) – رحمه الله– إذ يقول: « وكلّ من نقلت عنه من المفسّرين شيئا فمن تأليفه نقلت، وعلى لفظ صاحبه عوّلت، ولم أنقل شيئا من ذلك بالمعنى خوف الوقوع في

(١) «معالم التنزيل» (١/ ٥٤).
(٢) «التقييد الكبير للبسيلي» (ص٢٠٥).
(٣) « غرائب القرآن ورغائب الفرقان» (١/ ٦).

الزّلل، وإنما هي عبارات وألفاظ لمن أعزوها إليه، وما انفردت بنقله عن الطبريّ ، فمن اختصار الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد اللّخميّ النحويّ لتفسير الطبريّ- نقلت لأنه اعتنى بتهذيبه، وقد أطنب أبو بكر بن الخطيب في حسن الثناء على الطبري ومدح تفسيره، وأثنى عليه غاية نسأل الله تعالى أن يعاملنا وإياهم برحمته، وكلّ ما في آخره انتهى، فليس هو من كلام ابن عطيّة، بل ذلك مما انفردت بنقله عن غيره، ومن أشكل عليه لفظ في هذا المختصر، فليراجع الأمّهات المنقول منها، فليصلحه منها، ولا يصلحه برأيه وبديهة عقله فيقع في الزّلل من حيث لا يشعر، وجعلت علامة التاء لنفسي بدلا من «قلت» ومن شاء كتبها «قلت» ، وأمّا العين، فلابن عطيّة، وما نقلته من الإعراب عن غير ابن عطية فمن الصّفاقسيّ مختصر أبي حيّان غالبا، وجعلت الصّاد علامة عليه، وربّما نقلت عن غيره معزّوا لمن عنه نقلت، وكلّ ما نقلته عن أبي حيّان، فإنما نقلي له بواسطة الصّفاقسيّ غالبا، قال الصّفاقسيّ: وجعلت علامة ما زدتّه على أبي حيّان م. وما يتّفق لي إن أمكن، فعلامته «قلت» ، وبالجملة فحيث أطلق فالكلام لأبي حيّان، وما نقلته من الأحاديث الصّحاح والحسان عن غير البخاريّ ومسلم وأبي داود والتّرمذيّ في باب الأذكار والدّعوات- فأكثره من «النّوويّ» و «سلاح المؤمن» ، وفي الترغيب والترهيب وأحوال الآخرة فمعظمه من «التذكرة» للقرطبي ، و «العاقبة» لعبد الحقّ، وربّما زدتّ زيادات كثيرة من «مصابيح البغويّ» وغيره كما ستقف عليه- إن شاء الله تعالى- كلّ ذلك معزوّ لمحالّه.»أ.هـ[1] ويعد ذلك من باب الاصطلاح الخاص عند المفسر في كتابه برمز حروف لكتب بعينها.

(١) « الجواهر الحسان في تفسير القرآن» (١/ ١١٩).

المطلب الخامس: سبب التأليف:

يُعدّ غرض الكتابة من أهم مرتكزات التصنيف، وأبرز معالم التأليف، فبِه يُعلم مراد الكاتب ومقصود المصنِّف، وإذا كانت الأمور بمقاصدها، فحريٌّ بمن كتب كتابا أو تصدى لتصنيف أن لا يخرج في قصده عما عناه المصنفون، ولا يحيد في مرامه عما ارتضاه الأئمة المعتبرون، فهذا العلامة ابن خلدون(ت٨٠٨هـ) يذكر ما اطَّردت فيه أغراض التأليف، واتسقت عليه طبقات التصنيف، فيقول: «ثمّ إنّ الناس حصروا مقاصد التأليف الّتي ينبغي اعتمادها وإلغاء ما سواها، فعدّوها سبعة:

أوّلها: استنباط العلم بموضوعه وتقسيم أبوابه وفصوله وتتبّع مسائله، أو استنباط مسائل ومباحث تعرض للعالم تحقيق ويحرص على إيصاله بغيره، لتعمّ المنفعة به ....وثانيها: أن يقف على كلام الأوّلين وتآليفهم فيجدها مستغلقة على الأفهام ويفتح الله له في فهمها فيحرص على إبانة ذلك لغيره ممّن عساه يستغلق عليه، لتصل الفائدة لمستحقّها. وهذه طريقة البيان لكتب المعقول والمنقول، وهو فصل شريف....وثالثها: أن يعثر المتأخر على غلط أو خطإ في كلام المتقدّمين ممّن اشتهر فضله وبعد في الإفادة صيته، ويستوثق في ذلك بالبرهان الواضح الّذي لا مدخل للشكّ فيه، فيحرص على إيصال ذلك لمن بعده.....ورابعها: أن يكون الفنّ الواحد قد نقصت منه مسائل أو فصول بحسب انقسام موضوعه فيقصد المطّلع على ذلك أن يتمّم ما نقص من تلك المسائل ليكمل الفنّ بكمال مسائله وفصوله....وخامسها: أن تكون مسائل العلم قد وقعت غير مرتّبة في أبوابها ولا منتظمة، فيقصد المطّلع على ذلك أن يرتّبها ويهذّبها، ويجعل كل مسألة في بابها....وسادسها: أن تكون مسائل العلم مفرّقة في أبوابها من علوم أخرى فيتنبّه بعض الفضلاء إلى موضوع ذلك الفنّ وجميع مسائله، فيفعل ذلك، ويظهر به فنّ ينظّمه في جملة العلوم الّتي ينتحلها البشر بأفكارهم....وسابعها: أن يكون الشيء من التآليف الّتي هي أمّهات للفنون مطوّلا مسهبا فيقصد بالتأليف تلخيص ذلك، بالاختصار

والإيجاز وحذف المتكرّر، إن وقع، مع الحذر من حذف الضروريّ لئلّا يخلّ بمقصد ، الأوّل.فهذه جماع المقاصد الّتي ينبغي اعتمادها بالتأليف ومراعاتها. [١] »أ.هـ بتصرف.

وقد عددَّها صاحب لوامع الدرر مجملة بقوله: «واعلم أن أقسام التأليف سبعة لا يؤلف العاقل إلا في أحدها: إما شيء لم يسبق إليه يخترعه، أو ناقص يتممه، أو مستغلق يبينه، أو طويل يختصره دون إخلال بمعانيه: أو متفرق يجمعه، أو مختلط يرتبه. أو خطأ يصلحه. وللشيخ سيدي أحمد بن عبد العزيز الهلالي:

في سبعة حصروا مقاصد العقلا ..... من التآليف فاحفظها تنل أملا

أبدع تمام بيان لاختصارك في ... جمع ورتب وأصلح يا أخي الخللا»[٢]

كما نظمها بعضهم بقوله:« ألا فاعلمن أن التآليف سبعة ..... لكل لبيب في النصيحة خالصِ

فشرح لإغلاق، وتصحيح مخطىءٍ، ... وإبداع حَبْرٍ مُقدِم غيرِ ناكص

وترتيب منثور، وجمع مفرق، ... وتقصير تطويل، وتتميم ناقص»[٣]

وهذا ينبغي أن يُقدم بين يدي أي تصنيف فغرض التأليف وسببه من أهم معالم المنهج العلمي، لذا عني المصنفون بإيراده، وإن لم ينصوا على جميع أغراض التأليف،«والذي حمل العلماء ورجال الفكر على طلب هذه الأغراض، والحرص على العناية بها، وتوفير الجهد في مجالاتها، تقديمُ شيء نافع لمن حولهم ولمن يليهم من الأجيال ممّن وقفوا على التراث العلمي الإسلامي الذي وصل غزيراً إلى أشياخهم، ولم يقدروا على الاستفادة منه مباشرة بأنفسهم، استفادة صالحة، أو ممّن كان هذا التراث محجوباً عنهم غيرَ واقع في حوزتهم، وهم في حاجة إلى التعرّف عليه والإفادة منه.»[٤].

---

(١) «تاريخ ابن خلدون» (١/ ٧٣٣).

(٢) «لوامع الدرر في هتك أستار المختصر» (١/ ٨).

(٣) «مقاصد الشريعة الإسلامية» (١/ ٢٢٢).

(٤) المصدر السابق(١/ ٢٢٢).

وقد كان للمفسرين قصب السبق في تقرير ذلك المَعلم، فهذا أبو إسحاق الثعلبي(ت٤٢٧هـ) يصرّح بأغراض التصنيف ويؤصِّل لمقاصد التأليف، فيقول:«وسيبقى لكلّ مؤلّف كتابا في فن قد سبق إليه أن لا يعدم كتابه بعض الخلال التي أنا ذاكرها: إمّا استنباط شيء إن كان مقفلا، أو جمعه إن كان متفرّقا، أو شرحه إن كان غامضا، أو حسن نظم تأليفه، أو إسقاط شيء وتطويل.»[١]، ومن بعده نرى القاضي الماوردي(ت٤٥٠هـ) يبيّن طرفا من ذلك في صدر تفسيره ، فيقول: «ولما كان ظاهر الجلي مفهوما بالتلاوة، وكان الغامض الخفي لا يعلم إلا من وجهين: نقل واجتهاد جعلت كتابي هذا مقصورا على تأويل ما خفي علمه، وتفسير ما غمض تصوره وفهمه، وجعلته جامعاً بين أقاويل السلف والخلف، وموضحاً عن المؤتلف والمختلف، وذاكراً ما سنح به الخاطر من معنى يحتمل، عبَّرت عنه بأنه محتمل، ليتميز ما قيل مما قلته ويعلم ما استخرج مما استخرجته. وعدلت عما ظهر معناه من فحواه اكتفاء بفهم قارئه وتصور تاليه، ليكون أقرب مأخذاً وأسهل مطلباً.»[٢] ومن ظاهر كلام القاضي الماوردي يتضح مقصوده في تأويل ما خفي علمه، وتفسير ما غمض فهمه مع العدول عن الظاهر البيّن.
واعلم أيها القارئ الكريم أن **منزع العدول عن الواضح المعروف في التفسير** اختيار معروف عند أهل العلم، فهذا الإمام الشافعي(ت٢٠٤هـ) يعتمد ذلك في الرسالة عند حديثه عن أثر مجاهد في تفسير العرب:«عن مجاهد في قوله (وإنه لذكر لك ولقومك) قال يقال ممن الرجل فيقال من العرب فيقال من أي العرب فيقال من قريش... قال الشافعي: وما قال مجاهدٌ من هذا بيّنٌ في الآية **مستغنى فيه بالتنزيل عن التفسير**»[٣]، وهذا المنزع الذي أصلَّه الإمام الشافعي يعتبر معلما من معالم التصنيف في التفسير اعتمده بعض المفسرين كمثل أبي المظفر السمعاني(ت٤٨٩هـ) في تفسيره، فقد عني

(١) الكشف والبيان ١٧/٢.
(٢) « النكت والعيون» (١/ ٢١).
(٣) «الرسالة للشافعي» (ص١٤).

بتسميته "**ظاهر المعنى**" وهو كثير جدا في تفسيره يورده غالبا في تذييل الآيات، وأحيانا يسميه "**ظاهر الآية**". هذا، ولم يكن الإمام الثعلبي –وحده–ومن بعده القاضي الماوردي(ت٤٥٠هـ) من عُني بتقرير المنهج في غرض التأليف مبيّنا إيضاح المبهم وتفسير الغامض، بل تبعه أبو القاسم بن جزي الكلبي في التسهيل، فزاد على تأصيل الثعلبي وتقرير الماوردي وفصَّل المراد وبيَّن المقاصد ورتَّب الأغراض، فقال:«وصنفت هذا الكتاب في تفسير القرآن العظيم، وسائر ما يتعلق به من العلوم، وسلكت مسلكا نافعا، إذ جعلته وجيزا جامعا، قصدت به أربع مقاصد: تتضمن أربع فوائد: الفائدة الأولى: **جمع كثير من العلم،** في كتاب صغير الحجم تسهيلا على الطالبين، وتقريبا على الراغبين فلقد احتوى هذا الكتاب على ما تضمنته الدواوين الطويلة من العلم، ولكن بعد تلخيصها وتمحيصها، وتنقيح فصولها، وحذف حشوها وفضولها ولقد أودعته من كل فنّ من فنون علم القرآن: اللباب المرغوب فيه، دون القشر المرغوب عنه، من غير إفراط ولا تفريط. ثم إني عزمت على إيجاز العبارة، وإفراط الاختصار، وترك التطويل والتكرار.الفائدة الثانية: **ذكر نكت عجيبة، وفوائد غريبة،** قلما توجد في كتاب لأنها من بنات صدري، وينابيع ذكرى. ومما أخذته عن شيوخي رضي الله عنهم، أو مما التقطته من مستظرفات النوادر، الواقعة في غرائب الدفاتر.الفائدة الثالثة: **إيضاح المشكلات،** إما بحل العقد المقفلات، وإما بحسن العبارة ورفع الاحتمالات، وبيان المجملات.الفائدة الرابعة: **تحقيق أقوال المفسرين،** السقيم منها والصحيح، وتمييز الراجح من المرجوح. وذلك أن أقوال الناس على مراتب: فمنها الصحيح الذي يعوّل عليه، ومنها الباطل الذي لا يلتفت إليه، ومنها ما يحتمل الصحة والفساد.....»[1]. ولما لم يكن من غرض البحث استيفاء جميع النصوص آثرت ذكر البعض إشارة إلى الكل.

(١) « التسهيل لعلوم التنزيل» (١/ ١٠).

هذا، و إنما اكتفيت بكلام أبي القاسم ابن جزي الكلبي (ت٧٤١هـ) بعد القاضي الماوردي لأمور، منها:

حسن عبارته مع وجازتها، وإيفاؤه مقصود التأليف،وبيان منهجه في الجمع والإيراد.

جمعه أغراض المفسرين ممن سبقه بما يتسق مع علم التفسير من مقاصد ومرام.

تصنيفه مقاصد التأليف بما حوته كتب التفسير من بيان وأقوال ونكت ومرويات.

النصُّ على آلية إيراد الأقوال بين الجمع والترجيح عند المفسرين، مع اعتبار ذلك ملمحًا مهمًّا لمن يطالع التفاسير.

أغراض التصنيف عند المفسرين:

ومن واحة التأصيل إلى مهيع التطبيق تلقى المفسرين في تصانيفهم على سبل وأضرب:

الأول: التأليف المجرد–أي المستقل ابتداء–، وهو الغالب في صنيع المفسرين والمشهور .

الثاني: الحواشي، وذلك فيما كثر بين الأنام إقراؤه، واشتهر عند الناس تدريسه كالكشاف لجار الله الزمخشري(ت٥٣٨هـ)، وأنوار التنزيل للقاضي البيضاوي(ت ٦٨٥هـ).

والثالث: الاختصار، وهو أقلُّ من الأوّلين إلا أنه شائع ومشهور كابن أبي زمنين(ت٣٩٩هـ) لتفسير يحيي بن سلام(ت٢٠٠هـ)، وابن صمادح التجيبي(ت٤١٩هـ) لتفسير الطبري(ت٣١٠هـ) والخازن(ت٧٤١هـ) لتفسير البغوي(ت٥١٢هـ) ، والثعالبي(ت ٨٧٥هـ) لتفسير ابن عطية(ت٥٤٢هـ) ، ومن أشهر التفاسير التي عني المعاصرون باختصارها حتى جاوزت العشرين مختصرا تفسير الحافظ عماد الدين بن كثير (ت٧٧٤هـ).

وهذه الطرائق–في جملتها– إنما تُنبيء عن اختيارات المفسرين أغراض التصنيف فهي على أشكال عدة، وأضرب متعددة: فمنهم من جعله تذكرة لنفسه، ومنهم من كتبه جوابا

لسائل وإفادة لراغب، ومنهم من ابتدأه دون مسألة أو طلب، ومنهم من كان لرؤيا رآها، ومنهم من جعله اختصارا، ومنهم من قصد الإيجاز والتسهيل، ومنهم من عني بالبسط والتفصيل، ولكل وجهة هو موليها، وهذه إشارة لبعض أغراضهم وتبيان لبعض مقاصدهم، والله من وراء القصد.

الابتداء استقلالا، وهذا هو المشهور من تصنيف المفسرين، قال الطبري(ت٣١٠هـ):«ونحن في شرح تأويله وبيان ما فيه من معانيه، منشئون، إن شاء الله ذلك، كتابا مستوعبا لكل ما بالناس إليه الحاجة من علمه، جامعا، ومن سائر الكتب غيره في ذلك كافيا، ومخبرون في كل ذلك بما انتهى إلينا من اتفاق الحجة فيما اتفقت عليه منه، واختلافها فيما اختلفت فيه منه، ومبينو علل كل مذهب من مذاهبهم، وموضحو الصحيح لدينا من ذلك، بأوجز ما أمكن من الإيجاز في ذلك، وأخصر ما أمكن من الاختصار فيه.»(١)

الاختصار والتلخيص، وهذا مسلك مشهور، ومنحى معروف، قال ابن أبي زمنين(ت٣٩٩هـ): «وَبعد؛ فَإِنِّي قَرَأت كتاب يحيى بن سَلام فِي تَفْسِير الْقُرْآن، فَوجدت فِيهِ تَكْرَارا كثيرا، وَأَحَادِيث (ذكرهَا)؛ يقوم علم التَّفْسِير دونهَا، فطال بذلك الْكتاب [وَإِنَّهُ للَّذي] خبرته من قلَّة نشاط أَكثر الطالبين للعلوم فِي زَمَاننَا هَذَا – إِلَّا إِلَى مَا يخف فِي هَذَا الْكتاب على الدارس، وَيقرب للمقيد – نظرت فِيهِ، فاختصرت فِيهِ مكرره وَبَعض أَحَادِيثه، وزدت فِيهِ من غير كتاب يحيى تَفْسِير مَا لم يفسره يحيى، وتبعت ذَلِك إعرابا كثيرا ولغة؛ على مَا نقل عَن النَّحْوِيين، وَأَصْحَاب اللُّغَة السالكين لمناهج الْفُقَهَاء فِي التَّأْوِيل؛ زَائِدا على الَّذِي ذكره يحيى من ذَلِك.»(٢)

التيسير والتقريب، وهذا الضرب من المقاصد بغية كل مفسّر ومطلب كل مؤوّل، قال أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي(ت ٤٣٧هـ):«ولأن غرضي في هذا الكتاب إنما

(١) «جامع البيان» (١/ ٧).
(٢) «تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين» (١/ ١١١).

هو تفسير التلاوة، وبيان القصص والأخبار، وكشف مشكل المعاني، وذكر الاختلاف في ذلك، وتبيين الناسخ والمنسوخ وشرح وذكر الأسباب التي نزلت فيها الآي إن وجدت إلى ذكر ذلك سبيلاً من روايتي، أو ما صح عندي من رواية غيري. وترجمت عن معنى ما أشكل لفظه من أقاويل المتقدمين بلفظي ليقرب ذلك إلى فهم دارسيه، وربما ذكرت ألفاظهم بعينها ما لم يشكل.»[1]، بل إن بعض المفسرين آثر تسمية كتابه بالتسهيل كأبي القاسم بن جزي الكلبي(ت٧٤١هـ) في تفسيره "التسهيل لعلوم التنزيل."

جواب سائل وإفادة طالب، وهذا مقصود شهير عند المفسرين عامة، بل إن من القرآن الكريم ما نزل جوابا لسؤال، وبيانا لاستيضاح ، فهذا أبو محمد البغوي(ت٥١٠هـ) يقول: « فسألني جماعة من أصحابي المخلصين- وعلى اقتباس العلم مقبلين- كتابا في معالم التنزيل وتفسيره، فأجبتهم إليه معتمدا على فضل الله تعالى وتيسيره، ممتثلا وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ...واقتداء بالماضين من السلف في تدوين العلم إبقاء على الخلف وليس على ما فعلوه مزيد، ولكن لا بد في كل زمان من تجديد ما طال به العهد، وقصر للطالبين فيه الجد والجهد، تنبيها للمتوقفين وتحريضا للمتثبطين، فجمعت- بعون الله تعالى وحسن توفيقه- فيما سألوا كتابا وسطا بين الطويل الممل، والقصير المخل، أرجو أن يكون مفيدا لمن أقبل على تحصيله مريدا.»[2]

الاحتساب وطلب الأجر والثواب، ولعل هذا غرض المفسر في تحصيله العلوم وطلبه الفنون -وأجدر به من مقصد وأعظم بها من غاية-، قال القاضي ابن عطية(٥٤٢هـ): «فلما أردت أن أختار لنفسي، وأنظر في علم أعد أنواره لظلم رمسي، سبرتها بالتنويع والتقسيم، وعلمت أن شرف العلم على قدر شرف المعلوم فوجدت أمتنها حبالا، وأرسخها جبالا، وأجملها آثارا، وأسطعها أنوارا، علم كتاب الله جلت قدرته، وتقدست أسماؤه.... وأيقنت أنه أعظم العلوم تقريبا إلى الله تعالى، وتخليصا للنيات، ونهيا عن الباطل، وحضا

(١) «الهداية إلى بلوغ النهاية» (١/ ٧٣).
(٢) «معالم التنزيل» (١/ ٤٧).

على الصالحات، إذ ليس من علوم الدنيا فيختل حامله من منازلها صيدا، ويمشي في التلطف لها رويدا. ورجوت أن الله تعالى يحرم على النار فكرا عمرته أكثر عمره معانيه، ولسانا مرن على آياته ومثانيه، ونفسا ميزت براعة رصفه ومبانيه، وجالت سومها في ميادينه ومغانيه..... فلما سلكت سبله بفضل الله ذللا، وبلغت من اطراد الفهم فيه أملا، رأيت أن نكته وفوائده تغلب قوة الحفظ وتفدح، وتسنح لمن يروم تقييدها في فكره وتبرح..... ففزعت إلى تعليق ما يتخيل لي في المناظرة من علم التفسير وترتيب المعاني، وقصدت فيه أن يكون جامعا وجيزا محررا، لا أذكر من القصص إلا ما لا تنفك الآية إلا به، وأثبت أقوال العلماء في المعاني منسوبة إليهم على ما تلقى السلف الصالح– رضوان الله عليهم– كتاب الله من مقاصده العربية السليمة من إلحاد أهل القول بالرموز، وأهل القول بعلم الباطن، وغيرهم.... كل ذلك بحسب جهدي وما انتهى إليه علمي، وعلى غاية من الإيجاز وحذف فضول القول. وأنا أسأل الله جلت قدرته، أن يجعل ذلك كله لوجهه، وأن يبارك فيه وينفع به، وأنا وإن كنت من المقصرين فقد ذكرت في هذا الكتاب كثيرا من علم التفسير، وحملت خواطري فيه على التعب الخطير، وعمرت به زمني، واستفرغت فيه مننى، إذ كتاب الله تعالى لا يتفسر إلا بتصريف جميع العلوم فيه، وجعلته ثمرة وجودي، ونخبة مجهودي، فليستصوب للمرء اجتهاده، وليعذر في تقصيره وخطئه وحسبنا الله ونعم الوكيل.[1]

مدارسة للعلم وتذكيرا للنفس، فحظُّ المفسِّر من العلم بعد احتساب الأجور شغل الأعمار بمدارسة الوحي مع تذكير النفوس بمعاني التنزيل، قال الإمام القرطبي(ت٦٧١هـ): « رأيت أن أشتغل به مدى عمري، وأستفرغ فيه مُنتي (أي قوتي)، بأن أكتب تعليقا وجيزا، يتضمن نكتا من التفسير واللغات، والإعراب والقراءات، والرد على أهل الزيغ والضلالات، وأحاديث كثيرة شاهدة لما نذكره من الأحكام ونزول الآيات،

(١) « المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» (١/ ٣٤).

جامعا بين معانيهما، ومبينا ما أشكل منهما، بأقاويل السلف، ومن تبعهم من الخلف. **وعملته تذكرة لنفسي، وذخيرة ليوم رمسي،** وعملا صالحا بعد موتي. [١]، وهذا أبو زيد الثعالبي(ت٨٧٥هـ) يستهل تفسيره بذلك، فيقول: « **فإنّي جمعت لنفسي ولك في هذا المختصر** ما أرجو أن يقر الله به عيني وعينك في الدارين فقد ضمّنته بحمد الله المهمّ مما اشتمل عليه تفسير ابن عطيّة ، وزدتّه فوائد جمّه، من غيره من كتب الأئمّة، وثقات أعلام هذه الأمّة.»[٢]، وقد مرّ كلام أبي محمد مكي بن أبي طالب(ت٤٣٧هـ) في تفسيره الهداية: «فما أخرجت هذا الكتاب وبذلته للناس بعد أن كنت عملته في صدر العمر وجمام الفهم **لنفسي خاصة ولمذاكرتي مفرداً،** إلا طمعاً أن يترحم علينا مع طول الزمان مترحم، أو يستغفر لنا من أجله مستغفر، أو يذكرنا بالخير عليه ذاكر»[٣]

اتفاقًا لرؤيا رآها المصنف؛ فالرؤيا الصالحة من المبشرات، لاسيما إن كانت عظيمة، فهذا شرف الدين الطيبي (ت ٧٤٣ هـ) في مقدمة حاشيته على الكشاف يقول: « ثم إن تر خللاً فانسبه إلى الونى والقصور، وإن تعثر على ما تقر به العين فأحله إلى فيضان النور من جناب سيد المرسلين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين صلى الله عليه وسلم؛ فإني رأيت– والله الواهب– فيما يرى النائم في أثناء الشروع أو قبيله أنه صلى الله عليه وسلم ناولني قدحاً من اللبن وأشار إلي، فأصبت منه، ثم ناولته صلوات الله عليه وسلامه فأصاب منه، وسميت الكتاب بـ: "فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب"، **والحق أن ما أورده شرف الدين الطيبي** الأَولى أن يُدرج في ملابسات التصنيف، لا مسوقا في غرض التأليف، فقد قال–رحمه الله– قبله: « فلم يوفق لتصنيف أجمع لتلك الدقائق، وتأليف أنفع لدرك تلك الحقائق، وأكشف للقناع عن وجه إعجاز التنزيل، وأعون في مداحض الكلام على تعاطي التفسير والتأويل إلا الحبر الهمام: أبو القاسم محمود بن

(١) « الجامع لأحكام القرآن» (١/ ٣)
(٢) « الجواهر الحسان في تفسير القرآن» (١/ ١١٧).
(٣) «الهداية الى بلوغ النهاية» (١/ ٧٥).

عمر الزمخشري، شكر الله سعيه؛ إذ مصنفه: "الكشاف عن حقائق التنزيل"، مصنّف لا يخفى مقداره، ولا يشق غباره..... فقد استخرت الله– مع قلة البضاعة، وقصور الباع في الصناعة– لتصدي شرح مجمله، وحل معضله، وتلخيص مشكله، وتخليص مبهمه، وفسر عويصه ....، لتسهيل وعره، وتيسير صعبه، بعد تتبع مظان العلمين المختصين بالقرآن آونة من الأزمان، والإتقان على الأساليب البديعية، والأفانين البيانية...»[1]. وبمثل ذلك استبشر الخطيب الشربيني(ت٩٧٧هـ) حال عزمه على تصنيفه السراج المنير، فقال في مقدمته: «إلى أن يسر الله تعالى لي زيارة سيد المرسلين ﷺ وعلى سائر النبيّين والآل والصحب أجمعين في أوّل عام تسعمائة واحد وستين، فاستخرت الله تعالى في حضرته بعد أن صليت ركعتين في روضته وسألته أن ييسر لي أمري فشرح الله سبحانه وتعالى لذلك صدري فلما رجعت من سفري واستمرّ ذلك الانشراح معي، وكتمت ذلك في سرّي، حتى قال لي شخص من أصحابي: رأيت في منامي إما النبيّ ﷺ أو الشافعيّ يقول لي: قل لفلان يعمل تفسيراً على القرآن فعن قليل إلا وقد قرّرت في وظيفة مشيخة تفسير في البيمارستان»[2] مع ما ما ذكره بعدُ من أنه صنَّفه كذلك إجابة لسؤال طالب، ومدارسة للعلم إلا أنه قدم الرؤيا الصالحة على ما سواها لعظم وقعها في النفس وشرفها في المقام. ومن جليل ما وقع للقاضي الآلوسي (ت١٢٧٠هـ) رؤيا عظيمة استعظم أمرها، واستشرف خطرها، فقال : «إلى أن رأيت في بعض ليالي الجمعة من رجب الأصم سنة الألف والمائتين والاثنتين والخمسين بعد هجرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رؤية – لا أعدها أضغاث أحلام ولا أحسبها خيالات أوهام – أن الله جل شأنه وعظم سلطانه أمرني بطي السماوات والأرض، ورتق فتقهما على الطول والعرض فرفعت يدا إلى السماء وخفضت الأخرى إلى مستقر الماء ثم انتبهت من نومتي، وأنا مستعظم رؤيتي، فجعلت أفتش لها عن تعبير فرأيت في بعض الكتب أنها إشارة إلى تأليف تفسير. فرددت حينئذ

(١) (حاشية الطيبي على الكشاف) (١/ ٦١١) .

(٢) «السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير» (١/ ٣).

على النفس تعللها القديم وشرعت مستعينا بالله تعالى العظيم، وكأني إن شاء الله تعالى عن قريب عند إتمامه بعون عالم سري ونجواي أنادي وأقول غير مبال بتشنيع جهول: هذا تأويل رؤياي، وكان الشروع في الليلة السادسة عشرة من شعبان المبارك من السنة المذكورة وهي السنة الرابعة والثلاثون من سني عمري جعلها الله تعالى بسني لطفه معمورة»(١).

الحاصل: أن أغراض التصنيف عند المفسرين امتزجت في نفوسهم وتعلقت بقلوبهم فكأن كتابة المفسِّر تفسيره نتاج علمه وغاية فهمه ومبلغ تحصيله فيكدّ الذهن في تدبر التنزيل ، ويعمل القريحة في استنباط التأويل فتدركه النفحات وتأتيه الهبات من أنوار القرآن وفيوضات الرحمن ومواهب المنان.

ولله در أبي حيان(ت٧٤٥هـ) إذ يقول بعد أن استقر به المقام بمصر المحروسة: «وبها صنفت تصانيفي، وألفت تآليفي، ومن بركاتها علي تصنيفي لهذا الكتاب، المقرّب من رب الأرباب، المرجو أن يكون نورا يسعى بين يدي، وسترا من النار يضفو علي. فما لمخلوق بتأليفه قصدت، ولا غير وجه الله به ، أردت. جعلت كتاب الله والتدبير لمعانيه أنيسي، إذ هو أفضل مؤانس، وسميري إذا أخلو لكتب ظلم الحنادس(الليالي):

نعم السمير كتاب الله إن له ... حلاوة هي أحلى من جنى الضرب
به فنون المعاني قد جمعن فما ... يفتن من عجب إلا إلى عجب
أمر ونهي وأمثال وموعظة ... وحكمة أودعت في أفصح الكتب
لطائف يجتليها كل ذي بصر ... وروضة يجتنيها كل ذي أدب»(٢)

(١) روح المعاني(٣/١).
(٢) «البحر المحيط في التفسير» (١/ ١١).

المطلب السادس: توقيت التأليف:

يعتبر عصر المؤلف معلما هاما في تصوير الحياة العلمية من روافد ومشارب أثمرت في مجموعها بنتاج علمي رصين وعماد فكري أصيل تظهر آثاره في كتب التراث باختلاف أبوابها وتنوع فصولها؛ لذا عُني بعض المفسرين بإيراد توقيت التصنيف وملابسات التأليف، توثيقا لتفسيره وتوصيفا لأحداث جلت في عصره، وأمور نزلت إبّان وقته، وقد مرت الإشارة إلى بعض من ذلك عند القاضي أبي السعود العمادي(ت٩٨٢هـ، والإمام الآلوسي (ت١٢٧٠هـ)، و من قبلُ يوثق الإمام أبوحيان (ت٧٤٥هـ) طرفًا من عمره وقت تأليفه، ومن عاصره من الملوك والسلاطين، وتنصيبه في التدريس لعلم التفسير، فيقول: «وما زال يختلج في ذكري، ويعتلج في فكري، أني إذا بلغت الأمد الذي يتغضد فيه الأديم، ويتنغص برؤيتي النديم، وهو العقد الذي يحل عرى الشباب، المقول فيه إذا بلغ الرجل الستين، فإياه وإيا الشواب، ألوذ بجناب الرحمن، وأقتصر على النظر في تفسير القرآن، فأتاح الله لي ذلك قبل بلوغ ذلك العقد، وبلغني ما كنت أروم من ذلك القصد، وذلك بانتصابي مدرسا في علم التفسير في قبة السلطان الملك المنصور– قدس الله مرقده، وبلَّ بمزن الرحمة معهده– وذلك في دولة ولده السلطان القاهر، الملك الناصر... وكان ذلك في أواخر سنة عشر وسبعمائة، وهي أوائل سنة سبع وخمسين من عمري، فعكفت على تصنيف هذا الكتاب، وانتخاب الصفو واللباب، أجيل الفكر فيما وضع الناس في تصانيفهم، وأنعم النظر فيما اقترحوه من تآليف ألخص مطولها، وأحل مشكلها، وأقيّد مطلقها، وأفتح مغلقها، وأجمع مبددها، وأخلص منقدها»[1]، وبنحو من ذلك ما مرآنفا– من كلام الخطيب الشربيني(ت٩٧٧هـ) في توصيفه ملابسات تأليفه وزمان تصنيفه ورؤياه عند زيارته سيد المرسلين وإمام النبيين. ولعل القارئ الكريم يلمح من كلام أبي حيان والخطيب آثار بركات علوم القرآن تحصيلا وتدريسا، مما جعلهم

(١) المصدر السابق (١/ ١٠).

يدونون زمان التأليف في تفاسيرهم، ويذكرون محاسن أحوالهم عند تصنيفهم، وهاهو جار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ) يشير إلى بعض من هاتيك الأحوال فيقول:" ورأيتنى قد أخذت مني السنّ، وتقعقع الشنّ، وناهزت العشر التي سمتها العرب دقاقة الرقاب، فأخذت في طريقة أخصر من الأولى مع ضمان التكثير من الفوائد والفحص عن السرائر، ووفق الله وسدّد ففرغ منه في مقدار مدّة خلافة أبي بكر الصدّيق رضى الله عنه ، وكان يقدّر تمامه في أكثر من ثلاثين سنة، وما هي إلا آية من آيات هذا البيت المحرم، وبركة أفيضت علىّ من بركات هذا الحرم المعظم أسأل الله أن يجعل ما تعبت فيه منه سبباً ينجيني، ونوراً لي على الصراط يسعى بين يدي وبيميني ونعم المسئول.»[(١)]**،وأحيانا يتناول المفسِّر ترتيب كتبه زمانا** فالظاهر مثلا تصنيف الواحدي(ت٤٦٨هـ) تفاسيره الثلاثة مبتدئًا بالبسيط ثم الوسيط ثم الوجيز إلا أن صنيعه كان على خلاف ذلك فأخّر الوسيط عن الوجيز، فقال –رحمه الله– في مقدمته الوسيط:«وقد سبق لي قبل هذا الكتاب، بتوفيق الله وحسن تيسيره، مجموعات ثلاث في هذا العلم: معاني التفسير، ومسند التفسير، ومختصر التفسير .وقديما كنت أطالب بإملاء كتاب في تفسير (وسيط) ينحط عن درجة (البسيط) الذي تجر فيه أذيال الأقوال، ويرتفع عن مرتبة (الوجيز) الذي اقتصر على الإقلال.»[(٢)] وهذا الذي ذكره الواحدي أفاد المطالع في ترتيب التأليف وتطور التصنيف عند المفسّر.

(١) «تفسير الكشاف » (١/ ٤).

(٢) «التفسير الوسيط للواحدي» (١/ ٥٠).

المطلب السابع: اتجاهات المفسرين تبعا للعلوم:

مما يشغل بال القارئ اتجاهات المفسرين تبعا للعلوم فأيّها أكثر من اللغة، وأيّها أفاض في نكت البيان وطرائف البلاغة وأيّها اهتم بالفروع الفقهية، وأيّها اعتمد المرويات والآثار والأخبار، وهل اعتمد على غيره في ذلك كله أم استقلّ به ابتداء، فإذا عرف محل اعتماد المفسر من العلوم، وما اختصه في تفسيره من الفنون تنوّع مأخذه وتمهد مطلبه، واتضح سبيله في بغيته، وقد كفانا المفسرون –رحمهم الله – بيان ذلك إما نصّا بالتصريح وإما إشارة بالتلميح والتناول، فهذا الإمام الواحدي(٤٦٨هـ) يقرّر أهمية **علم النحو والأدب** في التفسير فيقول: «فقلت: إن طريق معرفة تفسير كلام الله تعالى تعلم النحو والأدب فإنهما عمدتاه، وإحكام أصولهما، وتتبع مناهج لغات العرب فيما تحويه من الاستعارات الباهرة، والأمثال النادرة، والتشبيهات البديعة، والملاحن الغريبة، والدلالة باللفظ اليسير على المعنى الكثير، مما لا يوجد مثله في سائر اللغات.»[(١)]، ومن بعده جار الله الزمخشري في كلام **أورده –على علمي المعاني والبيان** – في مقدمته سار مسار الضوء وملأ الخافقين فقال: «فالفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام، والمتكلم وإن بز أهل الدنيا في صناعة الكلام، وحافظ القصص والأخبار وإن كان من ابن القرّية أحفظ[(٢)]، والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ والنحوي وإن كان

(١) «التفسير البسيط» (١/ ٣٩٥).

(٢) «به يُضْرَب المَثَلُ في الفَصَاحة...وذَكَر أهلُ النَّسَب أَنَّه: أَيُّوب بن يَزيد بن قَيس بن زُرَارَة بن سَلم ابن حَنْتَم بن مالك بن عمرو بن عَامِر بن زيد مَنَاة بن عَوف بن سَعد بن الخَزْرَج بن تَيْم اللهِ بن النَّمِر بن قَاسِط. والقِرِّيَّة التي يُنْسَبُ إليها هي: أم حَنْتَم بن مَالك، وكان أيوب خرج مع ابن الأَشْعَث، فَقتله الحجاج بن يوسف في سنة أربع وثمانين.»«المؤتنف تكملة المؤتلف والمختلف» (٢/ ٣٢٦)، «وفيات الأعيان» (١/ ٢٥٠).

أنحى من سيبويه، واللغوي وإن علك اللغات بقوّة لحييه لا يتصدّى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما **علم المعاني وعلم البيان** وتمهل في ارتيادهما آونة، وتعب في التنقير عنهما أزمنة، وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله، وحرص على استيضاح معجزة رسول الله بعد أن يكون آخذاً من سائر العلوم بحظ»[1].

وهذا الطاهر ابن عاشور (١٣٩٣هـ) من أعيان المتأخرين يقول عن أهمية **علوم البلاغة** في فهم التنزيل وتدبره: «إن معاني القرآن ومقاصده ذات أفانين كثيرة بعيدة المدى مترامية الأطراف موزعة على آياته فالأحكام مبينة في آيات الأحكام، والآداب في آياتها، والقصص في مواقعها، وربما اشتملت الآية الواحدة على فنين من ذلك أو أكثر. وقد نحا كثير من المفسرين بعض تلك الأفنان، ولكن فنا من فنون القرآن لا تخلو عن دقائقه ونكته آية من آيات القرآن، وهو **فن دقائق البلاغة** هو الذي لم يخصه أحد من المفسرين بكتاب كما خصوا الأفانين الأخرى، من أجل ذلك التزمت أن لا أغفل التنبيه على ما يلوح لي من هذا الفن العظيم في آية من آي القرآن كلما ألهمته بحسب مبلغ الفهم وطاقة التدبر.»[2] وما ذكره الواحدي وجار الله وابن عاشور يفضي بأهمية علوم اللغة في التفسير عامة وفي مصنفاتهم خاصة ، وبنحو ذلك انتحى القرطبي(ت٦٧١هـ) بيان اختياره الفروع الفقهية فقال: «وأضرب عن كثير من قصص المفسرين، وأخبار المؤرخين، إلا مالا بد منه ولا غنى عنه للتبيين، واعتضت من ذلك تبيين آي الأحكام، بمسائل تفسير عن معناها، وترشد

(١) «تفسير الكشاف » (المقدمة١/ ٢).
(٢) «تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير» (١/ ٨).

الطالب إلى مقتضاها، فضمنت كل آية لتضمن حكما أو حكمين فما زاد، مسائل نبين فيها ما تحتوي عليه من أسباب النزول والتفسير الغريب والحكم، فإن لم تتضمن حكما ذكرت ما فيها من التفسير والتأويل، هكذا إلى آخر الكتاب.»[1] ، وبنحو المرويات والآثار والأخبار شيخ المفسرين وقدوة المتأولين الطبري (ت٣١٠هـ) وعلى نهجه أبو محمد ابن مسعود البغوي (ت٥١٠هـ) فيذكر شيئا من اقتصاره على الآثار فيقول: «وما ذكرت من أحاديث رسول الله ﷺفي أثناء الكتاب على وفاق آية أو بيان حكم، فإن الكتاب يطلب بيانه من السنة، وعليهما مدار الشرع وأمور الدين، فهي من الكتب المسموعة للحفاظ وأئمة الحديث، وأعرضت عن ذكر المناكير وما لا يليق بحال التفسير»[2] **وبالجملة** فمن طالع التفاسير رأى روضة غناء من الفنون، وأفانين متنوعة من العلوم يرتاضها القارئ ويغشاها المطالع يدرك بها عظمة القرآن وجلال الفرقان وجمال الوحي ودلائل التنزيل.

(١) « الجامع لأحكام القرآن» (١/ ٣).
(٢) «معالم التنزيل» (١/ ٥٦).

المبحث الثالث: فصول مهمة متعلقة بمناهج المفسرين صدّرها المفسرون في أوائل التفاسير.

يتناول المفسرون في مقدمات تفاسيرهم فصولا مهمة في مناهج المفسرين تعد كالمقدمات لهذا العلم، وهي تشترك مع أصول التفسير وعلوم القرآن على حد سواء، فهي عند التحقيق كالمدخل للدراسات القرآنية عامة ؛ فعناية المفسرين بالاصطلاح كالتفسير والتأويل والمعنى، واهتمامهم بطبقات المفسرين وأصناف التفاسير وطرائق أربابها، مع التأصيل لقضية التفسير بالرأي بعد بيان أضرب التفسير وسبله ، مع الإشادة بفضل القرآن ومكانة أهله وشرف مدارسيه ومقام مفسِّريه، إضافة إلى التعرض إلى شرائط المفسِّر والآلات التي يفتقر إليها والعلوم التي يلزمه تحصيلها، فضلا عن الإحاطة بها والتمكن في أبوابها حتى يتسنى له النظر في كلام الله، والتدبر لما أنزله العلي الكبير.

المطلب الأول: فضل علم التفسير، والثناء على أهله.

مما جرت به عادة المصنفين استهلال مصنفاتهم بالحديث عن فضل العلم الذي يكتبون فيه، والثناء على أهله ، ومعلوم أن العلم يشرف بشرف المعلوم، فكيف إذا كان العلم متعلقا بأشرف كلام وأجلّ تنزيل، ومما يلمحه الناظر في كتب التفسير أن المفسرين أهل ولاية وأرباب أحوال، فتراهم يقصدون بتصانيفهم وجه الكريم حتى حدى ببعضهم الحال أحيانا أن يخفي كتبه في حياته خشية أن لا يكون قد ابتغى بها وجه الله ، فهذا القاضي الماوردي(ت٤٥٠هـ) كما حكى عنه صلاح الدين الصفدي (ت ٧٦٤هـ) فقال : «وَقيل إنه لم يظْهر شَيْئًا من تصانيفه فِي حَيَاته وَجَمعهَا كلهَا فِي مَكَان وَلما دنت وَفَاته قَالَ لشخص يَثِق إِلَيْهِ إنّ كتبي لم أظهرها لِأَنِّي لم أجد نِيَّة خَالِصَة لله تَعَالَى لم يشبها كدر فَإِذا أَنا وَقعت فِي النزع وعاينت الْمَوْت اجْعَل يدك على يَدي فَإِن قبضت عَلَيْهَا وعصرتها فَاعْلَم أَنه لم يقبل مني شَيْء مِنْهَا واعمد إِلَى الْكتب وألقها فِي دجلة وَإِن بسطت يَدي وَلم أقبضها على يدك فَاعْلَم أَنَّهَا قد قبلت وَأَنِّي قد ظَفرت بِمَا كنت أرجوه قَالَ فَلَمَّا

وَقع النزع وضع يَده فِي يَده فبسطهاوَلم يقبضهَا فَعلم أَنه قبل فأظهرت كتبه»[1]، وعلى فرض صحة الرواية في ذلك عن الماوردي –رحمه الله– إلا أنها منه مبالغة في تحريه الإخلاص وطلبه القبول حتى عند النزع الأخير، وإلا فبقاء تلك المصنفات على مر الأزمان و وتدارس النا س لها على تعاقب الدهور والأعوام لأمارة توفيق وعلامة قبول، «قال معمر بن راشد: إن الرجل ليطلب العلم لغير الله. فيأبى عليه العلم حتى يكون لله عز وجل.»[2]، وهذا الإمام مالك بن أنس (ت١٧٩هـ) «عزم على تصنيف الموطأ. فعمل من كان بالمدينة يومئذ من العلماء الموطئات فقيل لمالك شغلت نفسك بهذا الكتاب وقد شاركك فيه الناس وعملوا أمثاله. فقال ائتوني بها فنظر فيها ثم نبذها وقال لتعلمُن ما أريد به وجه الله تعالى.»[3]. ولقد كان للمفسرين–رحمهم الله– في تفاسيرهم من ذلك القدح المعلى في مدح التفسير واحتساب الأجر في تحصيله والثناء على أهله، قال أبو جعفر الطبري(ت٣١٠هـ): «اعلموا عباد الله، رحمكم الله، أن أحق ما صرفت إلى علمه العناية، وبلغت في معرفته الغاية، ما كان لله في العلم به رضا، وللعالم به إلى سبيل الرشاد هدى، وأن أجمع ذلك لباغيه، كتاب الله الذي لا ريب فيه، وتنزيله الذي لا مرية فيه، الفائز بجزيل الذخر وسني الأجر تاليه، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه...»[4]،كما صدّرأبو الليث السمرقندي(ت٣٧٣هـ) تفسيره "بباب الحث على طلب التفسير»[5] أورد فيه الآثار على فضل طلب القرآن والحضّ على تدبره وفهمه، وهذا القاضي ابن عطية(ت٥٤٢هـ) أفرد في مقدمته بابا في فضل تفسير القرآن والكلام على

(١) «الوافي بالوفيات» (٢١/ ٢٩٩).
(٢) «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى (١/ ٤٧).
(٣) «ترتيب المدارك وتقريب المسالك» (٢/ ٧٦).
(٤) «تفسير الطبري» (١/ ٧).
(٥) « بحر العلوم» (١/ ١١).

لغته والنظر في إعرابه ودقائق معانيه»[1]وعقد الراغب الأصبهاني (ت٥٠٢) في أول فصول مقدمته فصلا مهما في شرف علم التفسير، مبيّنا أن شرف العلم من ثلاث جهات الموضوع، والصورة ، والغرض وقد اجتمعت بكمالها في علم التفسير، فقال : «(فصل في شرف علم التفسير) أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان تفسير القرآن وتأويله، وذلك أن الصناعات الحقيقة إنما تشرف بأحد ثلاثة أشياء: " إما بشرف **موضوعاتها**، وهي المعمول فيها، نحو أن يقال: الصياغة أشرف من الدباغة لأن موضوعها – وهو الذهب والفضة – أشرف من جلد الميتة – الذي هو موضوع الدباغة وإما بشرف **صورها**: نحو أن يقال: طبع السيوف اشرف من طبع القيود .. وإما بشرف **أغراضها وكمالها**، كصناعة الطب – التي غرضها إفادة الصحة – فإنها أشرف من الكناسة – التي غرضها تنظيف المستراح، فإذا ثبت ذلك، **فصناعة التفسير قد حصل لها الشرف من الجهات الثلاث.**

وهو أن موضوع المفسر كلام الله تعالى: الذي هو ينبوع كل حكمة، ومعدن كل فضله. وصورة فعله: إظهار خفيات ما أودعه مُنْزِلُهُ من أسراره ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة ص:٢٩]، وغرضه: التمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، والوصول إلى السعادة الحقيقة التي لافناء لها.ولهذا عظمَ اللهُ محله بقوله: (وَمَن يُؤتَ ٱلحِكمَةَ فَقَدِ أُوتِيَ خَيرا كَثِيرا﴾ [البقرة: ٢٦٩] ، قيل: هو تفسير القرآن»[2].

وتبعه أبو الثناء الآلوسي(ت١٢٧٠هـ) فشرح تلك المقدمات من الحدّ والفضل والشرف[3]، وإلى جليل مقدار المفسرين، يقول الإمام القرطبي (ت٦٧١هـ):"ثم جعل إلى العلماء بعد رسول الله ﷺاستنباط ما نبه على معانيه، وأشار إلى أصوله ليتوصلوا باجتهاد فيه إلى علم المراد، فيمتازوا بذلك عن غيرهم، ويختصوا بثواب اجتهادهم، قال الله تعالى:"

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» (١/ ٤٠).
(٢) «تفسير الراغب الأصفهاني» (١/ ٣٦).
(٣) «تفسير الألوسي روح المعاني – ط العلمية» (١/ ٦).

يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ". فصار الكتاب أصلا والسنة له بيانا، واستنباط العلماء له إيضاحا وتبيانا. فالحمد لله الذي جعل صدورنا أوعية كتابه، وآذاننا موارد سنن نبيه، وهممنا مصروفة إلى تعلمهما والبحث عن معانيهما وغرائبهما، طالبين بذلك رضا رب العالمين."[1] وهذه شذرات من كلامهم ، وإشارات من ثنائهم على التفسير وأهله، فقلّ أن تجد تفسيرا إلا استهل مقدمته بشيء من ذلك، فضلا من أن يكون قد عقد بابا أو فصلا في فضل القرآن وتفسيره والحث على طلبه، فشكر الله تعالى سعيهم ورحم كافتهم، ولم يكن للمتقدمين فحسب حظ وافر في ذلك التناول كالطبري والسمرقندي وغيرهم بل كان للمتأخرين كذلك نصيب وفيٌّ، من ذلك ما سطّره صاحب فتح البيان، فقال:«وقد تصدى لتفسير عويصاته أساطين الأمة، وتولى لتيسير معضلاته سلاطين الأئمة من الصحابة والتابعين، وأئمة اللغة والنحويين، ثلّة من الأولين وأمة من الآخرين، فغاصوا في بحار لججه، وخاضوا في أنهار ثبجه، فنظموا في سلك التقرير فرائده، وأبرزوا في معرض التحرير فوائده، وألفوا كتباً جليلة المقدار، وصنفوا زبراً جميلة الآثار، وفصّلوا مجمله، وبينوا معضله مع تحقيق للمقاصد وفق ما يرتاد، وتنقيح للمعاقد فوق ما يعتاد.»[2]

(١) « الجامع لأحكام القرآن» (١/ ٢).
(٢) «فتح البيان في مقاصد القرآن» (١/ ١٢).

المطلب الثاني: اصطلاحات المفسرين.

اعتبر المفسرون التعريفات والمفاهيم مدخلا رئيسا للعلوم، فالحكم على الشيء فرع عن تصوره، وفرّقوا بين المترادفات ومايزوا بين المتشابهات، فقدموا بين يدي تفاسيرهم تلك الفروق بين اصطلاحات الفن، بل إن بعضهم استهل تفسيره بذلك كما فعل أبو منصور الماتريدي(ت٣٣٣هـ)فقال: « الفرق بين التأويل والتفسير هو ما قيل: التفسير للصحابة، رضي الله عنهم، والتأويل للفقهاء، ومعنى ذلك: أن الصحابة شهدوا المشاهد، وعلموا الأمر الذي نزل فيه القرآن. **فتفسير الآية أهم لما عاينوا وشهدوا**، إذ هو حقيقة المراد، وهو كالمشاهدة، لا تسمح إلا لمن علم، ومنه قيل: من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار؛ لأنه فيما يفسر يشهد على الله به.**وأما التأويل: فهو بيان منتهى الأمر**، مأخوذ من: آل يؤول، أي يرجع، ومعناه – كما قال أبو زيد: لو كان هذا كلام غيره يوجه إلي كذا وكذا من الوجوه، فهو توجيه الكلام إلى ما يتوجه إليه، ولا يقع التشديد في هذا مثل ما يقع في التفسير، إذ ليس فيه الشهادة على الله؛ لأنه لا يخبر عن المراد، ولا يقول: أراد الله به كذا، أو عنى، ولكن يقول: يتوجه هذا إلى كذا وكذا من الوجوه، هذا مما تكلم به البشر. والله أعلم ما صحته من الحكمة. **ومثاله:** أن أهل التفسير اختلفوا في قوله تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ):قَالَ بَعْضُهُمْ: إن الله تعالى حمد نفسه.وقَالَ بَعْضُهُمْ: أمر أن يُحمد.فمن قال: عنى هذا، دون هذا، فهو المفسر له. وأما التأويل – فهو أن يقول: يتوجه الحمد إلى الثناء والمدح له، وإلى الأمر بالشكر لله عز وجل، والله أعلم بما أراد.فالتفسير –ذو وجه واحد، والتأويل– ذو وجوه. » [1] ففرَّق بين التفسير والتأويل باعتبار المدلولات، ولعل هذا ماحداه في تسمية كتابه بتأويلات أهل السنة، ومن قبل صنيع الطبري في كتابه جامع البيان فقد آثر استعمال التأويل في تناوله تفسير الآيات، فكان يقول: «القول في تأويل قوله تعالى » فكأن التفسير أشبه بالأقوال والتأويل أشبه بالمعاني،وهذا أبو إسحاق

(١) « تأويلات أهل السنة» (١/ ٣٤٩).

الثعلبي(ت٤٢٧هـ) يعتبر التفسير ضربا من النقل آثارا وأخبارا، والتأويل فهما واستنباطا فيقول: «فأما الفرق بينهما: فقالت العلماء: التفسير: علم نزول الآية وشأنها وقصتها، والأسباب التي نزلت فيها. فهذا وأضرابه محظور على الناس (لا يصلح) القول فيه إلا بالسماع والأثر. فأما التأويل فالأمر فيه سهل؛ لأنه صرف الآية إلى معنى تحتمله.وليس بمحظور على العلماء استنباطه والقول فيه بعدُ أن يكون موافقًا للكتاب والسنة. والله أعلم»[١] ويشهد لذلك قول البغوي(ت٥١٠هـ): «وفي التفسير لا يجاوز المسموع، ...وقد يفتح الله على المدبّر والمتفكر في التأويل والمعاني ما لا يفتح على غيره، وفوق كل ذي علم عليم.»[٢] ، وعادة المفسرين أن يجنحوا إلى بيان مفهوم التفسير والتأويل بين موسّع مسهب وبين موجز مختصر،وإليه يشير أبو حفص النسفي(ت٥٣٧هـ) بقوله:«الناس في معنى التفسير والتأويل بين التقصير والتطويل، ولنا على التوسط التعويل»[٣] .

ومن أجمع من اختصر الأقوال فيهما أبو الفرج ابن الجوزي(ت٥٩٧هـ) فقال: «فصل: اختلف العلماء: هل التّفسير والتّأويل بمعنى، أم يختلفان؟ فذهب قوم يميلون إلى العربية إلى أنهما بمعنى، وهذا قول جمهور المفسّرين المتقدّمين.

وذهب قوم يميلون إلى الفقه إلى اختلافهما، فقالوا: التفسير: إخراج الشيء من مقام الخفاء إلى مقام التّجلّي. والتأويل: نقل الكلام عن وضعه فيما يحتاج في إثباته إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ، فهو مأخوذ من قولك: آل الشيء إلى كذا، أي: صار إليه.»[٤] بل إنّ منهم من عقد لذلك فصلا في مقدمة تفسيره كالراغب (ت٥٠٢هـ) والخازن

(١) « الكشف والبيان عن تفسير القرآن ط دار التفسير» (٢/ ٢٥٠).
(٢) «تفسير البغوي – طيبة» (١/ ٤٧).
(٣) «التيسير في التفسير – أبو حفص النسفي» (١/ ٨).
(٤) «زاد المسير في علم التفسير» (١/ ١٢).

(ت٧٤١هـ) [١]، كما أنَّ بعضهم تعرَّض للتفسير كعلم له حد يعرف به كتعريف أبي حيان (ت٧٤٥هـ): « وقد آن أن نشرع فيما قصدنا، وننجز ما به وعدنا، ونبدأ برسم لعلم التفسير، فإني لم أقف لأحد من علماء التفسير على رسم له، فنقول.. وأما الرسم في الاصطلاح، فنقول: التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمات لذلك.»[٢] ، وبنحوه ابن عرفة المالكي (ت٨٠٣هـ) صدّر تفسيره بتلك المقدمات فقال: «علم التفسير: القول في حقيقته، وموضوعه، ودليله، وفائدته، واستمداده، وحكمه. أما حقيقته: فهو العلم بمدلول القرآن وخاصية كيفية دلالته (وأسباب النزول) والناسخ والمنسوخ. .....، وقيل (لابن) عرفة: غيره من المفسرين لم يذكرها كالطبري الذي هو إمام المفسرين؟ فقال: كان مركزا في طبعه وإن لم يكتبه. »[٣] هذا، ولا يتسع المقام لدراسة تلك الظاهرة من اصطلاحات المفسرين في هذا البحث، بل تكفي الإشارة إليها على سبيل الإجمال، فجدير بها أن تفرد بالتناول والعرض في دراسة مستقلة، والله أعلم.

(١) «تفسير الراغب الأصفهاني» (١/ ١٠)،«تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل» (١/ ١٢).

(٢) «البحر المحيط في التفسير» (١/ ٢٦).

(٣) «تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة» (١/ ١٩).

المطلب الثالث: شروط المفسر، والآلات التي يحتاج إليها المفسر.

لم يألُ أهل كل فن أن يُقرروا شروط من يتصدى للعلم، حتى ينماز أهل الفن من الدُّخلاء ، ومعلوم « أَن الْخَارِج عَن لغته لحّان وَأَن الدَّاخِل فِي غير فنه يَفْضَحهُ الامتحان»[1]، والمفسِّرون –رحمهم الله – بيَّنوا شرائط المنشغل بالتفسير وعدّدوا الآلات التي يحتاجها من يدارس الكتاب المجيد فهما واستنباطا، كما ذكروا العلوم التي ينبغي التمكن فيها لمن أراد أن يكون للتفسير أهلا وللتأويل طالبا؛ إذ علم التفسير متشعبة مسائله، متكاثرة مذاهبه، مع تعدد قضاياه العقدية وفروعه الفقهية وتقريراته الأصولية، كما أنه مبني على علوم اللغة أصولها وفروعها؛ فأنى لطالبه أن يخوض غماره بغير عدة، أو أن يسبح في بحاره دون مهارة، ولما كان الأوائل ممن تكحلت عيونهم برؤية خير الأنام ﷺ، وعاينوا الوحي وشاهدوا التنزيل من صحابة رسول الله ﷺ وأتباعهم الكرام ممن تخرجوا على أيديهم كانوا جميعا على الأمر الأوّل من سلامة اللغة وفصاحة الألسن مع ما حباهم الله به من جودة القريحة واتقاد الذهن وقوة الفهم، وقد أحسن وصفهم أبو الحسن الواحدي(ت٤٦٨هـ) بقوله: « والله تعالى ذكره أنزل كتابه على قوم عرب أولي بيان فاضل، وفهم بارع. أنزله جل ذكره بلسانهم، وصيغة كلامهم الذي نشؤوا عليه، وجبلوا على النطق به فتدربوا به، يعرفون وجوه خطابه ويفهمون فنون نظامه، ولا يحتاجون إلى تعلم مشكله وغريب ألفاظه حاجة المولدين الناشئين مع من لا يعلم لسان العرب حتى يعلمه، ولا يفهم ضروبه وأمثاله وأساسه وطرقه حتى يفهمها. وبين النبي ﷺ للمخاطبين من أصحابه رضي الله عنهم – ما عسى بهم الحاجة [إليه] من معرفة بيان مجمل الكتاب وغامضه ومتشابهه وجميع وجوهه، التي لا غنى بهم وبالأمة عنه. فاستغنوا بذلك عما نحن إليه اليوم محتاجون من معرفة لغات العرب واختلافها والتبحر فيها، والاجتهاد في تعلم وجوه العربية الصحيحة التي بها نزل الكتاب وورد البيان. فعلينا أن

(١) «طبقات الشافعية الكبرى للسبكي» (٩/ ٣٥٧).

نجتهد في تعلم ما يتوصل بتعلمه إلى معرفة ضروب خطاب الكتاب، ثم السنن المبينة لمجمل التنزيل، الموضحة للتأويل؛ لتنتفي عنا الشبه التي دخلت على كثير من رؤساء أهل الزيغ والإلحاد، ثم على رؤوس ذوي الأهواء والبدع، الذين تأولوا بآرائهم المدخولة فأخطؤوا ، وتكلموا في كتاب الله عز وجل بلكنتهم العجمية دون معرفة ثاقبة، فضلوا وأضلوا، نعوذ بالله من الخذلان، وإياه نسأل التوفيق والصواب. وقد كان الأكابر من السلف يحثون على تعلم لغة العرب، ويرغبون فيها لما يعلمون من فضلها وفرط الحاجة إليها »[١] .

وفي أهمية اللغة يقول أبو منصور الأزهري(ت٣٧٠هـ) تعليقا على كلام الشافعي في فضل اللغة :« قد قَالَ الشَّافِعِي رَحمَه الله تَعَالَى فَأحْسن، وأوضح فبيَّن، ودلّ سياقُ بَيَانه فِيمَا ذَكرْنَاهُ عَنهُ آنِفا وَفِيمَا لم نذكرهُ إيجازاً، على أنّ تعلُّم الْعَرَبيَّة الَّتِي بهَا يُتوصَّل إِلَى تعلم مَا بِهِ تجْرِي الصَّلَاة من تنزيلٍ وذكرٍ، فرضٌ على عامّة الْمُسلمين، وأنّ على الخاصّة الَّتِي تقوم بكفاية الْعَامَّة فِيمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ لدينهم الاجتهادَ فِي تعلُّم لِسَان الْعَرَب ولغاتها، الَّتِي بهَا تَمام التوصُّل إِلَى معرفَة مَا فِي الْكتاب وَالسّنَن والْآثَار، وأقاويل المفسّرين من الصّحابة وَالتَّابِعِينَ، من الْأَلْفَاظ الغريبةِ والمخاطبات الْعَرَبيَّة فإنَّ من جهل سَعَة لِسَان الْعَرَب وَكَثْرَة ألفاظها، وافتنانها فِي مذاهبها، جَهِل جُمَل علم الْكتاب...»[٢] ، فإن فاته شيء من ذلك فيعتبره البعض كأبي الليث السمرقندي (ت٣٧٣هـ) أنه من النقلة والرواة فيقول:«فإذا لم يعلم الرجل وجوه اللغة وأحوال التنزيل، فتعلَّم التفسير وتكلَّف حفظه فلا بأس بذلك، ويكون ذلك على سبيل الحكاية.»[٣].

فالحاصل: أن أهل العلم اشترطوا في طالب علم التفسير التوسع في الفنون والرسوخ في العلوم لا سيما المعرفة التامة بالآثار و التمكن في علوم العربية، فلا عجب أن تجد

(١) «التفسير البسيط» (١/ ٣٩٨).
(٢) «تهذيب اللغة» (١/ ٧).
(٣) « بحر العلوم» (١/ ١٢).

الطبري(ت٣١٠هـ) يقول في مقدمة تفسيره عن كتابه :«ونحن في شرح تأويله وبيان ما فيه من معانيه، منشئون، إن شاء الله ذلك، كتابا مستوعبا لكل ما بالناس إليه الحاجة من علمه، جامعا، ومن سائر الكتب غيره في ذلك كافيا، **ومخبرون في كل ذلك بما انتهى إلينا من اتفاق الحجة فيما اتفقت عليه منه، واختلافها فيما اختلفت فيه منه، ومبينو علل كل مذهب من مذاهبهم، وموضحو الصحيح لدينا من ذلك**»[١].

وهذا شيخ المفسرين وقدوة المتأولين ، قال فيه الخطيب البغدادي (ت٤٦٣ هـ):«وكان أحد أئمة العلماء يحكم بقوله، ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظا لكتاب الله، عارفا بالقراءات، بصيرا بالمعاني، فقيها في أحكام القرآن، عالما بالسنن وطرقها، وصحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، عارفا بأقوال الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من الخالفين في الأحكام، ومسائل الحلال والحرام، عارفا بأيام الناس وأخبارهم، ...وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة، واختيار من أقاويل الفقهاء، وتفرد بمسائل حفظت عنه. »[٢] وبهذا تبين وجه الجمع بين التأصيل في كتابه لشرائط المفسر –في نفسه ووصفه– الذي جمع العلوم وحصل الفنون وبين التطبيق في تناوله التفسير بموسوعية لا نظير لها فحق فيه قول أهل العلم بالتقدم والإمامة والرسوخ، ولأهمية تلك الشرائط بوّب الراغب الأصبهاني(ت٥٠٢هـ) بابا أصّل فيه للآلات التي يحتاج إليها المفسر، قال فيه: « اختلف الناس في تفسير القرآن: هل يجوز لكل ذي علم الخوض فيه؟ فبعض يشدد في ذلك وقال: لا يجوز لأحد تفسير شيء من القرآن، وإن كان عالماً أديباً متسعاً في معرفة الأدلة والفقه والنحو والأخبار والآثار، وإنما له أن ينتهي إلى ما روى عن النبي ﷺ وعن الذين شهدوا التنزيل من الصحابة – رضي الله تعالى عنهم –، أو عن الذين أخذوا عنهم من التابعين، ....وذكر آخرون أن من كان ذا أدب وسيع فموسع له أن يفسره.....وذكر بعض تحقيقين " أن المذهبين " هما الغلو والتقصير، فمن اقتصر على المنقول إليه فقد

(١) «جامع البيان» (١/ ٧).
(٢) «تاريخ بغداد» (٢/ ٥٤٩ ت بشار).

" ترك كثيراً مما يحتاج إليه "، ومن أجاز لكل أحد الخوض فيه، فقد عرضه للتخليط، ولم يعتبر حقيقة قوله تعالى: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [سورة ص:٢٩]. والواجب: أن يبين أولاً ما ينطوي عليه القرآن، وما يحتاج إليه المفسر من العلوم، فنقول وبالله التوفيق:..... **فجملة العلوم** التي هي كالآلة للمفسر، ولا يتم صناعة إلا بها هذ هذه العشرة: علم اللغة، والاشتقاق والنحو، والقراءات والسير، والحديث، وأصول الفقه، وعلم الأحكام، وعلم الكلام، وعلم الموهبة، فمن تكاملت فيه هذه العشرة واستعملها خرج عن كونه مفسراً للقرآن برآية، ومن نقص عن بعض ذلك مما ليس بواجب معرفته في تفسير القرآن وأحس من نفسه في ذلك بنقصه واستعان بأربابه واقتبس منهم واستضاء بأقوالهم لم يكن – إن شاء من المفسرين برأيهم، فإن القائل بالرأي – ها هنا – من لم «تجتمع عنده الآلات التي يستعان بها في ذلك، ففسره وقال فيه تخميناً وظناً. وإنما جعله النبي صلى الله عليه وسلم مخطئاً وإن أصاب، فإنه مخبر بما لم يعلمه، وإن كان قوله مطابقاً لما عليه الأمر في نفسه.....فمن حق من تصدى للتفسير أن يكون مستشعراً لتقوى الله مستعيذاً من شرور نفسه والإعجاب بها، فالإعجاب بالنفس أسُّ كل فساد وأن يكون اتهامه لفهمه أكثر من اتهامه لفهم أسلافه الذين عاشروا الرسول وشاهدوا التنزيل، ..»[(١)]، إضافة إلى تقرير الراغب الأصبهاني وتفصيله في العلوم العشرة، فقد اشترط بعض المفسرين كالواحدي والزمخشري وأبي حيان علوم العربية كما مرت الإشارة إلى ذلك عند الحديث عن تصنيف التفسير تبعا للعلوم ورحم الله القاضي البيضاوي(ت٦٨٥هـ) حيث جمع بين فضل التفسير وبين شرط من يتصدى لتعاطيه بأوجز عبارة، وأجمل إشارة فقال:«وبعد، فإن أعظم العلوم مقدارا وأرفعها شرفا ومنارا، علم التفسير الذي هو رئيس العلوم الدينية ورأسها، ومبنى قواعد الشرع وأساسها، لا يليق لتعاطيه والتصدي للتكلم فيه إلا من برع في العلوم الدينية كلها أصولها وفروعها، وفاق في الصناعات العربية والفنون الأدبية بأنواعها.»[(٢)]

(١) «تفسير الراغب الأصفهاني»أ.هـ بتصرف (١/ ٤٠).

(٢) « أنوار التنزيل وأسرار التأويل» (١/ ٢٣).

المطلب الرابع: طبقات المفسرين، وأشهر المصنفات في التفسير.

عُنيت كتب التراجم والطبقات بترجمة الأعلام والمشاهير والعلماء بأصنافهم بل اختص البعض منها بتراجم طوائف بعينها فتجد طبقات الفقهاء، وطبقات الأدباء، وطبقات الشعراء وغير ذلك مما لا يسعه المقام ذكرا وتعديدا، كما أن هناك مسالك في التراجم أفردت عصورا وأزمانا كالبدر الطالع والضوء اللامع والدرر الكامنة وغيرها، وبعضها مكانا وبلدانا كتاريخ دمشق وبغداد وطبقات علماء أفريقية وتاريخ علماء الأندلس وغيرها، وبعضها جماعات ووحدانا كمعرفة الصحابة،وكتب الرجال والمناقب كمناقب الشافعي وسيرة عمر ابن عبد العزيز وغيرها.

ولم يكتف التصنيف في التراجم والطبقات على الأشخاص فقط، بل تناولت المؤلَّفات والتصانيف مما هو موجود أو مفقود، ولعل من بركات هذه الكتب تصنيف العلماء من خلال نتاجهم العلمي، فيضفي على التراث نوعا من التكامل المعرفي في سائر العلوم وكافة الفنون، بل اختصت كتب ،ين وآثار المصنفين بالتعديد، ونسبة الكتب لأربابها ككشف الظنون وهداية العارفين والمعاجم بأنواعها. و لقد حفلت كتب التراجم والطبقات و،ين بآثار المفسرين وأخبار المتأولين حتى أفردها بعضهم بالتصنيف كطبقات المفسرين للسيوطي(ت٩١١هـ)، والداوودي(ت٩٤٥هـ)، والأدنه وي، وغيرهم، ولم تخلُ كتب التفسير في مقدماتها من تلك التراجم والمصنفات؛ حتى أضحت نواة لمعاجم التفسير وطبقات المفسرين.

هذا، وإن الناظر في كتب التفسير ليلمح فيها لتأصيل طبقات المفسرين وأصنافهم في التأليف، مسالك عدة، منها:

تصنيف المؤلفين تبعا لاتجاهاتهم وطرائقهم في مناهج التصنيف:

قال أبو إسحاق الثعلبي(ت٤٢٧هـ): «فألفيت المصنّفين في هذا الباب فرقا على طرق: **فرقة منهم أهل البدع والأهواء وفرقة المسالك والآراء** مثل البلخي والجبائي ....، **وفرقة ألّفوا وقد أحسنوا غير أنّهم خلطوا أباطيل المبتدعين بأقاويل السلف**

الصالحين....مثل أبي بكر القفال وأبي حامد المقري. وهما من الفقهاء الكبار، والعلماء الخيار، ولكن لم يكن التفسير حرفتهم، ولا علم التأويل صنعتهم ولكل عمل رجال، ولكل مقام مقال...**وفرقة اقتصروا على الرواة والنقل دون الدراية والنقد** مثل الشيخين أبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، وأبي إسحاق إبراهيم بن إسحاق الأنماطي. وبياع الدواء محتاج إلى الأطبّاء.**وفرقة حرّموا الإسناد** الذي هو الركن والعماد، وتملّكوا الصحف والدفاتر وجهدوا على ما هو بين الخواطر، وذكروا الغثّ والسمين، والركيك والمتين، وليسوا في عداد العلماء فصنت الكتاب عن فكرهم، والقراءة والعلم سنة يأخذها الأصاغر عن الأكابر. ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء.**وفرقة حازوا قصب السبق في عمدة التصنيف والحذق،** غير أنّهم طوّلوا كتبهم بالمعادات، وكثرة الطرق والروايات، وحشوها بما منه بدّ، فقطعوا عنها طمع المسترشد مثل الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، وشيخنا أبي محمد عبد الله بن حامد الأصفهاني. وازدحام العلوم مضلّة للفهوم.**وفرقة جرّدوا التفسير دون الأحكام،** وبيان الحلال من الحرام، والحل عن الغوامض والمشكلات، والرد على أهل الزيغ والشبهات كمشايخ السلف الصالحين، والعلماء القدماء من التابعين وأتباعهم مثل مجاهد ومقاتل، والكلبي والسدّي، ولكل من أهل الحقّ فيه غرض محمود وسعي مشكور. »[1]

تصنيف المفسرين تبعا لطبقات المفسرين زمنًا بين المتقدمين والمتأخرين:

قال الواحدي(ت٤٦٨هـ): « والمعنيون بالتصنيف في هذا العلم طبقات:فالصحابة الذين نزل فيهم القرآن شاهدوا التنزيل، وعرفوا التأويل؛ لأنهم أهل اللغة الذين نشأوا عليها كما وصفناهم قبل.وأما التابعون والسلف الصالحون فإنهم لم يتصنعوا في جمع ما جمعوا، ولم يتكلفوا في تتبع الخفايا من الزوايا. وأرباب المعاني اقتصروا على الإعراب، وبيان نهج الخطاب. **وللمتأخرين مراتب ودرجات، وأغراض في التصنيف متفاوتات،** والاشتغال

(١) « الكشف والبيان عن تفسير القرآن ط دار التفسير» (٢/ ١٦).

بما يعنينا أولى من بيان درجتهم، الكشف عن نقصهم ومزيتهم ، وقل من تراه يعنى بسوق اللفظ على التفسير، وإفراغه في قوالب المعاني، حتى يأتي به متسقا من غير ترجح، ومطردا من غير تخاذل. وعلى هذا فلم يبقوا في القوس منزعًا، ولم يترك الأول للآخر شيئًا،غير أن المتأخر بلطيف حيلته ، ودقيق فطنته، يلتقط الدرر ويجمع الغرر، فينظمها كالعقد على صدر الكعاب ، يروق المتأملين ، ويؤنق الناظرين ، فيستحق به في الأولى حمد الحامدين، وفي العقبى ثواب رب العالمين. »[١] ، ورحم الله القاضي أبا السعود العمادي(ت٩٨٢هـ) في وصفه سمات تفاسير المتقدمين والمتأخرين فقال:«أما المتقدمون تحقيقون فاقتصروا على تمهيد المعاني وتشييد المباني وتبيين المرام وترتيب الأحكام حسبما بلغهم من سيد الأنام عليه شرائف التحية والسلام، وأما المتأخرون المدققون فراموا مع ذلك إظهار مزاياه الرائقة وإبداء خباياه الفائقة ليعاين الناس دلائل إعجازه ويشاهدوا شواهد فضله وامتيازه عن سائر الكتب الكريمة الربانية والزبر العظيمة السبحانية فدونوا أسفارا بارعة جامعة لفنون المحاسن الرائعة»[٢] ولخّص ذلك القاضي الشوكاني(١٢٥٠هـ) فقال: «إن غالب المفسرين تفرّقوا فريقين، وسلكوا طريقين: الفريق الأول: اقتصروا في تفاسيرهم على مجرّد الرواية، وقنعوا برفع هذه الراية. والفريق الآخر: جرّدوا أنظارهم إلى ما تقتضيه اللغة العربية، وما تفيده العلوم الآلية، ولم يرفعوا إلى الرواية رأسا، وإن جاءوا بها لم يصحّحوا لها أساسا، وكلا الفريقين قد أصاب، وأطال وأطاب، **وإن رفع عماد بيت تصنيفه على بعض الأطناب، وترك منها ما لا يتمّ بدونه كمال الانتصاب**»[٣] وفي كلام الشوكاني نظر وبحث ؛ إذ الأوائل لم يقتصروا على الرواية ،بل أسعوا النظر في المعاني والمقاصد، وما جامع الطبري إلا خير شاهد على ذلك، وكلام القاضي أبي السعود أوفق بالمراد وأنسب للمقام وأحق بالقول في طبقات المتقدمين والآخرين.

---

(١) «التفسير البسيط» (١/ ٤١٧).

(٢) « إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم» (١/ ٤).

(٣) «فتح القدير للشوكاني» (١/ ١٤).

إفراد المصنفين فصلا لمراتب المفسرين تبعا لدرجاتهم : فقد بوّب القاضي بن عطية(ت٥٤٢هـ) في مقدمة تفسيره بابا سماه : « باب ما قيل في الكلام في تفسير القرآن، والجرأة عليه، ومراتب المفسرين»[١]،وفيه : « **فأما صدر المفسرين والمؤيد فيهم** فعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويتلوه عبد الله بن العباس رضي الله عنهما، وهو تجرد للأمر وكمله وتتبعه، **وتبعه العلماء عليه،** كمجاهد، وسعيد بن جبير، وغيرهما، والمحفوظ عنه في ذلك أكثر من المحفوظ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. **ومن المبرزين في التابعين** الحسن بن أبي الحسن، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعلقمة. قرأ مجاهد على ابن عباس قراءة تفهم ووقوف عند كل آية، **ويتلوهم** عكرمة، والضحاك بن مزاحم، وإن كان لم يلق ابن عباس، وإنما أخذ عن ابن جبير. وأما السدي رحمه الله فكان عامر الشعبي يطعن عليه وعلى أبي صالح، لأنه كان يراهما مقصرين في النظر، **ثم حمل تفسير كتاب الله تعالى عدول كل خلف، وألف الناس فيه** كعبد الرزاق، والمفضل، وعلي بن أبي طلحة، والبخاري، وغيرهم. ثم إن محمد بن جرير الطبري رحمه الله جمع على الناس أشتات التفسير، وقرب البعيد وشفى في الإسناد. **ومن المبرزين في المتأخرين** أبو إسحاق الزجاج وأبو علي الفارسي فإن كلامهما منخول وأما أبو بكر النقاش، وأبو جعفر النحاس، فكثيرا ما استدرك الناس عليهما، وعلى سننهما مكي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأبو العباس المهدوي رحمه الله متقن التأليف، وكلهم مجتهد مأجور رحمهم الله، ونضر وجوههم.»[٢] ولعل القاضي ابن عطية بين تسلسل التأليف وتطوره، كما اعتنى بأثر المفسرين فيمن جاء بعدهم ، مع وصف كل مرتبة منهم وصفا يبرز درجاتهم، ويميز بين طرائقهم قبولا أو ردّا.

ترتيب المفسرين حسب طرق التلقي والأداء:

أورد السيوطي(ت٩١١هـ) في حاشيته على البيضاوي ترتيب المفسرين على مراتب أخذهم وأصناف تآليفهم، فقال: « **فإن التفسير في الصدر الأوّل** كان مقصورا على السماع، محصورا في باب الاتّباع، يحفظ في الصدور عن الصدور، ويرجع إلى الأثر

(١) وتبعه جماعة من المفسرين كالقرطبي والثعالبي في تفسيريهما.

(٢) « المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» (١/ ٤٢).

والنقل ويدور ، فلما حدث تدوين الكتب وتصنيفها، وذلك في منتصف المائة الثانية أجروه مُجرى الأحاديث والآثار، وساقوه مساق ما دوّنوه من الأخبار، فقلّ إمام من أئمة الحفظ ألّف جامعا أو مسندا إلاّ وألّف تفسيرا ساق فيه ما وقع له بالأسانيد موردا. ومفتتح هذه الطبقة مالك ووكيع ، وسفيان ، وتبعهم من جاء بعدهم من الأئمة الأعيان، كعبد الرزاق ،والفريابي ، وسعيد بن منصور ، وآدم بن أبي إياس، وابن أبي شيبة، وإسحاق بن راهويه وعبد بن حميد ، وخلائق كلهم مليءٌ بالحفظ ريّان. وجاءت بعدهم طبقة أخرى أصحاب نحو ولغة فألفوا في معاني القرآن ما يزيل الإغراب، وضموا إلى معانيه المقتبسة من اللغة ما تحتاج إليه تراكيبه من الإعراب، كالفراء ، والزجاج ، والنحاس ، وابن الأنباري ، في آخرين أتراب.ثم حدث في المائة الرابعة مصنّفون ألّفوا تفاسير لخصوا فيها من تفاسير الحفاظ الأقوال بترا، ومن كتب أصحاب المعاني معاني وأعاريب صاغوها بعد أن كانت تبرا.**ثم جاءت فرقة** أصحاب نظر في علوم البلاغة التي يُدرَكُ بها وجه الإعجاز وأسرار البلاغة التي هي لحلل التراكيب طراز. وصاحب الكشاف هو سلطان هذه الطريقة، والإمام السالك في هذا المجاز إلى الحقيقة.»[1]

وبهذا البيان الشافي من الجلال السيوطي في طبقات المفسرين ومراتب المصنفين من الجمع والرواية إلى الإفراد والتصنيف، ثم إلى بيان معاني التنزيل، ثم إلى استنباط المقاصد واستخراج لآلي المباني من وجوه الإعجاز وأسرار البيان، وهكذا تطور التأليف من الجمع والرواية إلى النظر والدراية فشكر الله لهم وجزاهم عن القرآن والعلم خير الجزاء.

النصّ على أشهر المصنفات في التفسير:

يمتزج عند المفسرين – رحمهم الله– ذكر مصادر التفسير عندهم – كما صنع أصحاب مختصرات التفسير نحو: ابن أبي زمنين (ت٣٩٩هـ)، وابن صمادح (ت٤١٩هـ)، والخازن (ت٧٤١هـ) الثعالبي (ت٨٧٥هـ) وغيرهم... وأصحاب الحواشي نحو الطيبي (ت٧٤٣هـ)، والسيوطي (ت٩١١هـ)، والشهاب (ت١٠٦٩هـ) وغيرهم.....

بذكر المعتمد والمعوّل لدى المصنّف ،وهذا قد مرَّت الإشارة إليه عند الحديث عن مصادر المفسرين في كتبهم إلا أن الكلام هنا عن المشهور من مصنفات التفسير كحديث

(١) «نواهد الأبكار وشوارد الأفكار = حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي» (١/ ٣).

أبي حيان الأندلسي عن كشّاف جار الله الزمخشري ومحرّر القاضي ابن عطية ومكانتهما في كتب التفسير، بقوله :«ولما كان كتاباهما في التفسير قد أنجدا وأغارا، وأشرقا في سماء هذا العلم بدرين وأنارا، وتنزلا من الكتب التفسيرية منزلة الإنسان من العين، والذهب الإبريز من العين، ويتيمة الدر من اللآلي، وليلة القدر من الليالي، فعكف الناس شرقا وغربا عليهما، وثنوا أعنة الاعتناء إليهما.»(١).

وقد كان الإيجي(ت٩٠٥هـ) يعدّد أشهر التفاسير ويعتبرها أصولا لكتابه، فيقول: «لكن المسلك في تفسيرنا هذا الاعتماد على المعاني الثابتة عمن أنزل عليه الكتاب المتكلم بفصل الخطاب صلى الله عليه وبارك وسلم، وما نقلنا فيه شيئاً إلا بعد اطلاع وتتبع تامٍ؛ فأعتمد على نقل الشيخ الناقد في علم الرواية " عماد الدين بن كثير "؛ فإنه في تفسيره قد تفحص عن تصحيح الرواية؛ وتجسس عن عجرها وبجرها؛ ولو وجدت مخالفة بين تفسيره وتفسير " محيي السنة الإمام البغوي " الذي هو من سراة المحدثين ومهرة تحقيقين – تتبعت كتب القوم الذين لهم يد في التصحيح ثم بعد الاطلاع كتبت ما رجحوا، لكن أعتمد قليلاً على كلام " ابن كثير "؛ فإنه متأخر معتن في شأن التصحيح، و " محيي السنة " في تفسيره ما تعرض لهذا؛ بل قد يذكر فيه من المعاني والحكايات ما اتفقت كلمة المتأخرين على ضعفه؛ بل على وضعه..... ثم إن مأخذ كتابي هذا: " المعالم "، و " الوسيط "، و " تفسير ابن كثير "، و " النسفي "، و " الكشاف " مع شروحه: " الطيبي "، و " الكشف " و " شرح تحقيق التفتازاني " – و " تفسير القاضي ناصر الدين البيضاوي ".»(٢)وأحيانا يعدد المفسِّر ما اتفق له من أصول وحواش وتحريرات كما صنع السيوطي(ت٩١١هـ) في حاشيته على البيضاوي(٣) .

وقد يعتمد المفسر –كما صنع الإيجي– في تخريج الآثار في التفسير كتابا معيّنا، قال القاضي الشوكاني(ت١٢٥٠هـ): «وقد أذكر الحديث معزوّا إلى راويه من غير بيان حال الإسناد، لأني أجده في الأصول التي نقلت عنها كذلك كما يقع في تفسير ابن

(١) «البحر المحيط في التفسير» (١/ ٢٠).
(٢) «تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن» (١/ ٢١).
(٣) «نواهد الأبكار وشوارد الأفكار » (١/ ١٢).

جرير والقرطبي وابن كثير والسيوطي وغيرهم....واعلم أن تفسير السيوطي المسمى ب «الدرّ المنثور» قد اشتمل على غالب ما في تفاسير السلف من التفاسير المرفوعة إلى النبي ﷺ، وتفاسير الصحابة ومن بعدهم، وما فاته إلا القليل النادر.»[1]، وهذا عمدة المتأخرين من المفسرين الطاهر ابن عاشور –طيب الله ثراه –يقول:والتفاسير وإن كانت كثيرة فإنك لا تجد الكثير منها إلا عالة على كلام سابق بحيث لا حظ لمؤلفه إلا الجمع على تفاوت بين اختصار وتطويل. وإن أهم التفاسير تفسير «الكشاف» و «المحرر الوجيز» لابن عطية و «مفاتيح الغيب» لفخر الدين الرازي، و «تفسير البيضاوي» الملخص من «الكشاف» ومن «مفاتيح الغيب» بتحقيق بديع، و «تفسير الشهاب الألوسي» ، وما كتبه الطيبي والقزويني والقطب والتفتازاني على «الكشاف» ، وما كتبه الخفاجي على «تفسير البيضاوي» ، و «تفسير أبي السعود» ، و «تفسير القرطبي» والموجود من «تفسير الشيخ محمد بن عرفة التونسي» من تقييد تلميذه الأبي وهو بكونه تعليقا على «تفسير ابن عطية» أشبه منه بالتفسير، لذلك لا يأتي على جميع آي القرآن، و «تفاسير الأحكام، وتفسير الإمام محمد ابن جرير الطبري» ، وكتاب «درة التنزيل» المنسوب لفخر الدين الرازي، وربما ينسب للراغب الأصفهاني. ولقصد الاختصار أعرض عن العزو إليها، وقد ميزت ما يفتح الله لي من فهم في معاني كتابه وما أجلبه من المسائل العلمية، مما لا يذكره المفسرون، وإنما حسبي في ذلك عدم عثوري عليه فيما بين يدي من التفاسير في تلك الآية خاصة، ولست أدعي انفرادي به في نفس الأمر، فكم من كلام تنشئه، تجدك قد سبقك إليه متكلم، وكم من فهم تستظهره وقد تقدمك إليه متفهم، وقديما قيل: هل غادر الشعراء من متردم... »[2]إلى آخر ما ذكر –رحمه الله–.

وما حدى المفسرين إلى ذكر تلك التفاسير التي وقفوا عليها واستفادوا منها إلا من باب بركة العلم نسبته إلى أهله، وبيان أول العلم أخذا ومصدرا.....

(١) «فتح القدير للشوكاني» (١/ ١٥).

(٢) «تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير» (١/ ٧).

وقديما قال ابن المقفع (ت١٤٢هـ)-رحمه الله-:«وَجُلُّ الْأَدَبِ بِالْمَنْطِقِ، وَجُلُّ الْمَنْطِقِ بِالتَّعَلُّمِ، لَيْسَ مِنْهُ حَرْفٌ مِنْ حُرُوفِ مُعْجَمِهِ، وَلَا اسْمٌ مِنْ أَنْوَاعِ أَسْمَائِهِ إِلاّ وَهُوَ مَرْوِيٌّ مُتَعَلَّمٌ مَأْخُوذٌ عَنْ إِمَامٍ سَابِقٍ مِنْ كَلَامٍ أَوْ كِتَابٍ؛ وَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ النَّاسَ لَمْ يَبْتَدِعُوا أُصُولَهَا، وَلَمْ يَأْتِهِمْ عِلْمُهَا إِلاّ مِنْ قِبَلِ الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ.

فَإِذَا خَرَجَ النَّاسُ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ عَمَلٌ أَصِيلٌ وَأَنْ يَقُولُوا قَوْلاً بَدِيعًا؛ فَلْيَعْلَمِ الْوَاصِفُونَ الْمُخْبِرُونَ أَنَّ أَحَدَهُمْ – وَإِنْ أَحْسَنَ وَأَبْلَغَ – لَيْسَ زَائِدًا عَلَى أَنْ يَكُونَ كَصَاحِبِ فُصُوصٍ وَجَدَ يَاقُوتًا وَزَبَرْجَدًا وَمَرْجَانًا، فَنَظَمَهُ قَلَائِدَ وَسُمُوطًا وَأَكَالِيلَ ، وَوَضَعَ كُلَّ فَصٍّ مَوْضِعَهُ، وَجَمَعَ إِلَى كُلِّ لَوْنٍ شِبْهَهُ وَمَا يَزِيدُهُ بِذَلِكَ حُسْنًا، فَسُمِّيَ بِذَلِكَ صَانِعًا رَفِيقًا. وَكَصَاغَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ صَنَعُوا مِنْهَا مَا يُعْجِبُ النَّاسَ مِنَ الْحُلِيِّ وَالْآنِيَةِ. وَكَالنَّحْلِ وَجَدَتْ ثَمَرَاتٍ أَخْرَجَهَا اللهُ طَيِّبَةً، وَسَلَكَتْ سُبُلاً جَعَلَهَا اللهُ ذُلُلاً؛ فَصَارَ ذَلِكَ شِفَاءً وَطَعَامًا وَشَرَابًا مَنْسُوبًا إِلَيْهَا، مَذْكُورًا بِهِ أَمْرُهَا وَصَنْعَتُهَا.

فَمَنْ جَرَى عَلَى لِسَانِهِ كَلَامٌ يَسْتَحْسِنُهُ أَوْ يَسْتَحْسِنُ مِنْهُ، فَلَا يَعْجَبَنَّ إِعْجَابَ الْمُخْتَرِعِ الْمُبْتَدِعِ؛ فَإِنَّهُ إِنَّمَا اجْتَنَاهُ كَمَا وَصَفْنَا. وَمَنْ أَخَذَ كَلَامًا حَسَنًا عَنْ غَيْرِهِ فَتَكَلَّمَ بِهِ فِي مَوْضِعِهِ وَعَلَى وَجْهِهِ، فَلَا تَرَيَنَّ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ ضُؤُولَةً؛ فَإِنَّ مَنْ أُعِينَ عَلَى حِفْظِ كَلَامِ الْمُصِيبِينَ، وَهُدِيَ لِلاقْتِدَاءِ بِالصَّالِحِينَ، وَوُفِّقَ لِلْأَخْذِ عَنِ الْحُكَمَاءِ، فَلَا عَلَيْهِ أَنْ لَا يَزْدَادَ؛ فَقَدْ بَلَغَ الْغَايَةَ، وَلَيْسَ بِنَاقِصِهِ فِي رَأْيِهِ وَلَا غَامِطِهِ مِنْ حَقِّهِ أَنْ لَا يَكُونَ هُوَ اسْتَحْدَثَ ذَلِكَ وَسَبَقَ إِلَيْهِ.»[1]

(١) «الأدب الصغير ت خلف» (ص٢٣).

المطلب الخامس: ألوان التفسير، وتفصيل القول في التفسير بالرأي.

تعرض المفسرون –قديما وحديثا–إلى تقسيم التفسير بين مقبول ومردود، كما فصّلوا بين مأثور ورأي، وشغلت مقدماتهم قضية التفسير جوازا ومنعا؛ هل هو تجرّؤٌ على التنزيل وتقوّلٌ على الله بغير علم أم هو امتثال للأمر بالتدبر وضرب من فهم كلام الله المقتضي العمل؟ وقلّ أن تجد تفسيرا إلا تناولها بالطرح والبيان والدرس والتبيان بين مُفصِّل للأقوال مورد للآثار مناقش للأدلة محتج بالأقيسة، وبين مُوجز مختصر يكتفي بالإشارة عن العبارة. هذا، ويظهر أثر ذلك جليا –عند تصانيفهم التفاسير كما مرت الإشارة آنفا– في اجتنابهم التفاسير التي جمعت الغثّ والسمين فضلا عن ردّهم التفاسير الباطلة والتأويلات المنحولة، بل إن اشتراطهم لمن يتصدى للتفسير حيازة العلوم مع ورع وديانة لأدل أمارة على تحرّيهم القول على الله بغير علم، وتهيبهم الإقدام على تأويل بغير علم ،أو تفسير بغير تدبر أو فهم.

يقرُب الحديث عن ألوان التفسير من الكلام على طبقات المفسرين، لكنّ الأول: عن الأصناف والأنواع، والثاني: عن المؤلفين، وبينهم تلازم وجهي: فليس كل مفسّر مصنّفا، وإنما الأغلب على المصنِّف وصف التفسير.

عندما يطالع الناظر جامع البيان للطبري يراه عقد بابا سماّه «ذكر بعض الأخبار التي رويت بالنهي عن القول في تأويل القرآن بالرأي» وأورد فيه الآثار الدالة على النهي عن الغيبيات أو مما لا يدرك إلا بنص فقال: «وهذه الأخبار شاهدة لنا على صحة ما قلنا؛ من أن ما كان من تأويل القرآن الذي لا يدرك علمه إلا بنص بيان رسول الله ﷺ، أو بنصبه الدلالة عليه، فغير جائز لأحد القيل فيه برأيه، بل القائل في ذلك برأيه، وإن أصاب عين الحق فيه، فمخطئ في فعله بقيله فيه برأيه، ولأن إصابته ليست إصابة موقن أنه محق، وإنما هو إصابة خارص وظان، والقائل في دين الله بالظن قائل على

الله ما لا يعلم....»[1] إلى آخر ما ذكره –رحمه الله–. ومما يدل على أن الطبري رام بذلك التجرؤ على تفسير كلام الله دون علم أنه عقد بعده بابا بعنوان «ذكر بعض الأخبار التي رويت في الحض على العلم بتفسير القرآن، ومن كان يفسره من الصحابة» ولو كان التفسير بالرأي مذموما مطلقا لما أقدم الصحابة على ذلك مع ما اشتهر واستفيض عنهم في ذلك كابن عباس وابن مسعود وعلى رضوان الله عليهم أجمعين، وقد ردّ على المنكرين جواز التأويل في باب عقده باسم«ذكر الأخبار التي غلط في تأويلها منكرو القول في تأويل القرآن»، وبهذا يكون الطبري قد عقد المقارنة بين الآثار التي ظاهرها المنع وبين الأخبار الدالة على الجواز والحال عند الصحابة والتابعين خير شاهد على ذلك مع ما نقل عنهم في ذلك ،ثم ردّ على المنكرين للتأويل، ومن دقيق فهم الإمام الطبري أنه فرع على القول بالمنع والجواز ألوان التفسير من محمود مذموم فقال: «ذكر الأخبار عن بعض السلف في من كان من قدماء المفسرين **محمودا علمه بالتفسير** ومن كان منهم **مذموما علمه به**»[2] فرحم الله الإمام الطبري فقد أحسن وأجاد، وفصّل وأفاد، وحق فيه قول القاضي ابن عطية–آنفا–: « ثم إن محمد بن جرير الطبري رحمه الله جمع على الناس أشتات التفسير، وقرّب البعيد وشفى في الإسناد. » والمفسّرون بعد ذلك على منوال الطبري كُثرٌ بين من أوجز فتناول باختصار، وبين من أطال فأطنب وعقد لذلك فصولا مهمة في مقدمة تفسيره ولكل وجهته إيجازا وإطنابا فرحم الله مساعيهم وشكر صنيعهم. كما أن المفسرين تناولوا ألوان التفسير وأصناف التأويل بما مر بيانه عند الحديث عن طبقات المفسرين مما هو مقبول معتبر ومما هو مردود كالتفاسير الباطلة والروايات الزائفة وما خلط بين غث وسمين ، إلا أن صاحب المنار–رحمه الله– ارتأى تقسيم التفسير باعتبار المقاصد والأغراض فما كان أشبه بالهدايات كان أقرب للاعتبار والقبول بخلاف ما أكثر مصنفوه من تفريع الخلاف في عويصات الإعراب وغرائب

(١) «تفسير الطبري» (١/ ٧٢).
(٢) «تفسير الطبري» (١/ ٨٤).

النكات وعجائب التخريجات من الفروع الفقهية والمباحث الأصولية، فقال :«فعلم مما ذكرنا أن التفسير قسمان:

(أحدهما) : جاف مبعد عن الله وعن كتابه، وهو ما يقصد به حل الألفاظ وإعراب الجمل وبيان ما ترمي إليه تلك العبارات والإشارات من النكت الفنية، وهذا لا ينبغي أن يسمى تفسيرا، وإنما هو ضرب من التمرين في الفنون كالنحو والمعاني وغيرهما.

(ثانيهما) : وهو التفسير الذي قلنا: إنه يجب على الناس – على أنه فرض كفاية – هو الذي يستجمع تلك الشروط لأجل أن تستعمل لغايتها، وهو ذهاب المفسر إلى فهم المراد من القول، وحكمة التشريع في العقائد والأحكام على الوجه الذي يجذب الأرواح، ويسوقها إلى العمل والهداية المودعة في الكلام، ليتحقق فيه معنى قوله: (هدى ورحمة) ونحوهما من الأوصاف. فالمقصد الحقيقي وراء كل تلك الشروط والفنون هو الاهتداء بالقرآن. قال الأستاذ الإمام: وهذا هو الغرض الذي أرمي إليه في قراءة التفسير.»[1] ، فاعتبر –رحمه الله– التفسير بمقصده أخذًا من تعريف التفسير بأنه الوقوف على مراد الله من كلامه مما يعلم، أو يظن أنه مراد الله –عز وجل–. **والتحقيق :** أن المفسرين نظروا في القرآن فاتجه كل صوبه على قدر فهمه ومنتهى علمه فأوردوا الآثار في بيانه والأخبار في تفسيره، وهذا الاتجاه الأثري نحاه الطبري والسمرقندي والبغوي والخازن وابن كثير وجماعة، وآخرون آثروا الوقوف على أسرار ألفاظه ونكات معانيه وبديع أساليبه مع التفنن في علوم اللسان بين صنعة الإعراب وملكة البيان وصبغة المعاني فتوسعوا في إيراد الصور وتفننوا في توجيه الجمل وأبدعوا في استنباط الدلالات كالواحدي والزمخشري والبيضاوي وأبي حيان وأبي السعود والآلوسي والطاهر ابن عاشور وجماعة انتهجو بذلك الاتجاه البياني، وطائفة تبحرت في استنباط أحكامه واستخراج فروعه على اختيارات الفقهاء فأوسعوا البحث في دلالات الفقه وفروع المسائل كابن عطية والقرطبي والثعالبي

(١) «تفسير المنار» (١/ ٢٢).

وغيرهم ممن اتبعوا الاتجاه الفقهي، وجماعة قرروا مسائل علم الكلام فاستنبطوا شواهد الأدلة على المباحث الكلامية وأوردوا مذاهب الفرق الإسلامية كالمعتزلة والجبرية والإمامية والخوارج وغيرهم مع التبحر في قضايا التوحيد كالسمعيات والنبوات فأثمرت مباحثهم التقريرات النافعة، والأدلة الدامغة، والأقيسة العقلية المستنبطة من شواهد التنزيل كالفخر الرازي وحافظ الدين النسفي وغيرهم ممن انتهج الاتجاه العقدي، ولا يلزم من اهتمام مفسّر بباب إغفاله ما سواه، بل الحق أن التفاسير موسوعات التراث ومفخرة الإسلام حوت فجمعت العلوم، وحفظت فأوعبت الفنون فتكاملها يعطي صورة متسقة الأركان والمباني لعلوم أهل الإسلام، فكأن العلماء اختزلوا علومهم في بيان كلام الله تعالى، ووفّروا طاقاتهم في إيضاح مراد الله عز وجل، وكلهم مجتهد مأجور.

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وتتنزل البركات، وتدرك بها الهبات، وتستقبل بها الرحمات، وبعد...

فهذا التطواف في كتب أعلام المفسرين من السادة المتقدمين والأئمة المتأخرين من لدن الإمام الطبري(ت٣١٠هـ) في أواخر القرن الثالث وأوائل الرابع امتدادا إلى الإمام أواخر القرن الرابع عشر مع الإمام الطاهر ابن عاشور(ت١٣٩٣هـ) على مدى عشرة قرون، تناولت فيها هذه الدراسة زهاء أربعين تفسيرًا ما بين مختصرات وحواش ومصنفات مستقلة ابتداء، على اختلاف مدارسهم وتنوع مشاربهم وتعدد مذاهبهم ولكل وجهته، فأثمرت جهودهم تلك الموسوعات التفسيرية التي ضمت بين جنباتها علوم الإسلام في بيان كلام العزيز العلاّم، وسبقوا من بعدهم في التأليف، وأصّلوا جوانب الدرس القرآني، واستنبطوا آفاقا لا تزال تتجدد على مر الزمان أبوابها كلما أمعن فيها الناظر بصره أو قلب فيها المتأمل فكره إيذانا بأوجه الإعجاز التي لا تنتهي من كلام العليم الخبير....

و بعد قراءة متأنية لمقدمات التفاسير ، فهذه بعض النتائج التي خلص لها البحث والدراسة:

- خلت بعض التفاسير مما وقف عليه البحث – على قلة – من مقدمات كالزجاج (ت٣١١هـ) في المعاني والسمعاني (ت٤٨٩هـ)، والفخر الرازي (ت٦٠٦هـ) في المفاتيح ، وابن عادل في اللباب (ت٨٨٠هـ)، والجلالين (ت٩١١هـ)، وابن كمال باشا (ت٩٤٠هـ)، والتفسير المظهري (ت١٢٢٥هـ)، وغيرهم.
- غالب التفاسير المعتمدة من المتقدمين والمتأخرين اشتملت على مقدمات مهمة تعدّ كتبا مستقلة، بل تعتبر رافدا مهما في الدراسات القرآنية على تنوّع اتجاهاتها؛ كالطبري (ت٣١٠هـ) والثعلبي (ت٤٢٧هـ) والواحدي (ت٤٦٨هـ)، والراغب (ت٥٠٢هـ)، وابن عطية (ت٥٤٢هـ)، والقرطبي (ت٦٧١هـ)، وابن جزي

(ت٧٤١هـ) وأبي حيان (ت٧٤٥هـ) والنيسابوري (ت٨٥٠هـ)، والآلوسي (ت١٢٧٠هـ)، والطاهر ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ) وغيرهم.

- سبقت الدراسات التطبيقية كثيرا من نظيراتها التأصيلية في حقل الدراسات القرآنية؛ فتوصل البحث إلى سبق التفاسير كتب مناهج المفسرين، وعلوم القرآن، والقراءات، والغريب، والفضائل، وغيرها في أوائل تلك الفنون، وبدايات تلك العلوم، ولا تزال مقدمات التفاسير تحتاج إلى كبير بحث وجليل درس.
- تعدّ مقدمات التفاسير مدخلا هاما للدراسات القرآنية، فمع تنوّع مشارب المفسرين ، وتعدد روافدهم، تعاقبت مدارس المفسرين، وتطوّرت اتجاهاتهم من لدن مرحلة التلقي والمشافهة كما عند الصحابة إلى أوائل مرحلة التدوين في القرن الثاني امتداد حتى المتأخرين في القرن الرابع عشر الهجري.
- ظهرت آثار صنعة المفسرين في امتزاج العلوم وترابطها تحت مظلة التفسير، فتراهم في المقدمات يقرِّرون قواعد الأصول في باب الترجيح تارة، وكذلك دلالات الألفاظ في باب الاشتراك والترادف ويمايزون في قبول الأحاديث وردّها تبعا للصنعة الحديثية، وهكذا دواليك.
- بدت أمارات تأثُّر المفسرين بعضهم ببعض بادية في فصول المقدمات وتبويبها، كما عند القرطبي(ت٦٧١هـ) والثعالبي(ت٨٨٠هـ) بابن عطية(ت٥٤٢هـ)، بل إن بعضهم آثر عبارات غيره من المفسرين، فاجتباها في مقدمة تفسيره كصنيع صديق حسن خان (ت١٣٠٧هـ) مع مقدمة أبي السعود العمادي(ت٩٨٢هـ).
- اختيار المفسرين أجزل الألفاظ وأرقى المعاني وأفصح التراكيب يُعد عند المحققين من أبْين ما يستفتح به تفسير التنزيل وحسبك بذلك براعة استهلال تنبئ عن جليل قدر ورسوخ قدم وتمكن صناعة؛ مما حدى بالبعض كأبي حيان(ت٧٤٥هـ) أن يشير إلى تقدم جار الله الزمخشري(ت٥٣٨هـ) بمقدمة كشافه فكفى الناظر فيها تأمل معانيها وتدبر مبانيها، حتى يدرك –كما قال السيوطي في مقدمة حاشيته

على البيضاوي–وجوه تخصيص العلماء الكشاف بمزيد بحث ووفور درس بين شارح ومحشٍّ ومختصر ومنقح لأقواله ومخرّج لآثاره.

توصيات البحث والدراسة:

- –لا تزال مقدمات التفاسير حقلا خصبا لكثير من جوانب الدراسات القرآنية التي يعوزها البحث والدراسة.
- –عقد المقارنات بين مناهج المفسرين من خلال مقدماتهم على تنوع مدارسهم وتعدد مشاربهم قديما وحديثا.
- –اعتبار مقدمات التفاسير كتبا مستقلة بين يدي التفاسير يضفي عليها الجانب التأصيلي لما التزم به المفسر في كتابه؛ مما يحتاج إلى دراسات تطبيقية موازنة بين المقدمات وكتب التفسير ذاتها.
- –اعتمدت مقدمات التفاسير طابعا خاصا لاسيما عند من أصّلوا لها في تفاسيرهم ، ومن ذلك إحالة المفسرين إلى مصنفاتهم الأخرى؛ مما له كبير الأثر على الدرس التفسيري كالطبري والنيسابوري وغيرهم ممن يعزون إلى مصنفاتهم في تفاسيرهم. **وبالجملة :** فإن المتتبع لمقدمات التفاسير ليلمح أنها جمعت في مجموعها صورة متكاملة عن أهم مباحث علم مناهج المفسرين، من تراجم المفسرين، وشيوخهم، ومصنفاتهم، ووصف التفاسير، وشروط أربابها، وأغراض التأليف، مع ذكر فصول مهمة في طبقات المفسرين وشرائط التصدي للتفسير واتجاهات المفسرين وغير ذلك مما يؤكد فضل السبق للمفسرين في التأصيل لعلم مناهج المفسرين.....

فشكر الله سعيهم، ورحم كافتهم، وأثابهم على صنيعهم، وتقبل آثارهم،،،،،

وصلى الله وسلم على نبينا سيد الأولين والآخرين وأصحابه الغر الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

المصادر والمراجع

- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم،** أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل،** ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت. الطبعة الأولى – ١٤١٨ هـ.
- **إيجاز البيان عن معاني القرآن،** محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم، نجم الدين (ت نحو ٥٥٠هـ)، تحقيق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٥ هـ.
- **بحر العلوم،** أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٣هـ) تحقيق وتعليق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
- **البحر المحيط (في التفسير)،** محمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) بعناية: صدقي محمد جميل العطار، دار الفكر – بيروت، عام النشر: ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.
- **تأويلات أهل السنة،** محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.
- **تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد،** محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.
- **التسهيل لعلوم التنزيل،** أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت ٧٤١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٦ هـ.

- **تفسير ابن عرفة،** محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (ت ٨٠٣هـ)، تحقيق: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨ م.
- **تفسير ابن كمال باشا،** (يطبع لأول مرة محققا على ست نسخ خطية)، شمس الدين أحمد بن سليمان بن كمال باشا الرومي الحنفي (ت ٩٤٠ هـ)، تحقيق: ماهر حبوش، مكتبة الإرشاد، إسطنبول – تركيا، الطبعة الأولى، ١٤٣٩ هـ – ٢٠١٨ م.
- **تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن،** محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإيجي الشافعيّ (ت ٩٠٥هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م.
- **التفسير البسيط،** أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي (ت ٤٦٨ هـ)، أصل تحقيقه: (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ.
- **تفسير الجلالين،** جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الحديث – القاهرة، الطبعة الأولى، عدد الصفحات: ٨٢٧.
- **تفسير الراغب الأصفهاني،** أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، جزء ١: المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب – جامعة طنطا، الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م.
- **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)،** محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر: ١٩٩٠ م.
- **تفسير القرآن العزيز،** أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (ت ٣٩٩هـ)، تحقيق: أبو عبد الله حسين

بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة – مصر/ القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

- **تفسير القرآن العظيم،** أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد علم الدين السخاوي المصري الشافعي (ت ٦٤٣ هـ)، تحقيق وتعليق: د. موسى علي موسى مسعود، د. أشرف محمد القصاص، دار النشر للجامعات، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩م.
- **تفسير القرآن العظيم،** أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٠٠ – ٧٧٤ هـ)، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض – السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.
- **تفسير القرآن،** أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.
- **تفسير القرآن،** أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (ت ٦٦٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
- **التفسير المظهري،** المظهري، محمد ثناء الله، تحقيق: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية – الباكستان، الطبعة: ١٤١٢ هـ.
- **التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد،** أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد البسيلي التونسي (ت ٨٣٠هـ)، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض – المملكة العربية السعودية. عدد الصفحات: ٦٢٦.
- **التيسير في التفسير،** نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي (٤٦١ – ٥٣٧ هـ)، (يطبع أول مرة محققًا على ثلاث نسخ خطية)، تحقيق: ماهر أديب حبوش، وآخرون، دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، أسطنبول – تركيا، الطبعة الأولى، ١٤٤٠ هـ – ٢٠١٩ م.
- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن،** أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ – ٣١٠ هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع: مركز البحوث

والدراسات الإسلامية بدار هجر – د. عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان – القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

- **الجامع لأحكام القرآن،** أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م.
- **جمهرة اللغة،** أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
- **الجواهر الحسان في تفسير القرآن،** أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت ٨٧٥هـ) تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٨ هـ.
- **الدر المنثور،** عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الفكر – بيروت.
- **الدرة المضية في القراءات الثلاث المتتمة للعشر،** شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت ٨٣٣هـ)، المحقق: محمد تميم الزعبي، الناشر: دار الهدى، الطبعة الثانية، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م.
- **روح البيان،** إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، أبو الفداء (ت ١١٢٧هـ)، دار الفكر – بيروت.
- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،** أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت ١٢٧٠ هـ)، ضبطه وصححه: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م.
- **زاد المسير في علم التفسير،** جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤٢٢ هـ.

- **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير،** شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت ٩٧٧هـ)، مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة، عام النشر: ١٢٨٥ هـ.
- **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،** أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.
- **علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير،** أ.د /محمد صفا شيخ إبراهيم حقي أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الإمام محمد بن سعود، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م-١٤٢٥هـ.
- **عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي،** شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت ١٠٦٩هـ)، دار صادر – بيروت.
- **غرائب القرآن ورغائب الفرقان،** نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت ٨٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٦ هـ.
- **فتح البيان في مقاصد القرآن،** أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت ١٣٠٧هـ)، عني بطبعه وقدم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، عام النشر: ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.
- **فتح القدير،** محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٤ هـ.
- **فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب،** (وهو حاشية الطيبي على الكشاف)، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت ٧٤٣ هـ)، حققه: نخبة من الباحثين بإشراف جائزة دبي للقرآن الكريم، مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج، القسم الدراسي: د. جميل بني عطا، المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة الأولى، ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣ م.

- **القلب والإبدال،** ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت ٢٤٤هـ).
- **كتاب العين،** أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،** محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري [ت ٥٣٨ هـ]، دار الريان للتراث بالقاهرة – دار الكتاب العربي ببيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.
- **الكشف والبيان عن تفسير القرآن،** أبي إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي المتوفى سنة ٤٢٧ هـ، أشرف على إخراجه: د. صلاح باعثمان – د. حسن الغزالي – أ. د. زيد مهارش – أ. د. أمين باشه. دار التفسير.
- **لباب التأويل في معاني التنزيل،** علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت ٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.
- **اللباب في علوم الكتاب،** أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي (ت بعد ٨٨٠ هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨ م.
- **لسان العرب،** محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة – ١٤١٤هـ.
- **محاسن التأويل،** محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت ١٣٣٢ هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٨ هـ.
- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،** أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤٢٢ هـ.

- **مدارك التنزيل وحقائق التأويل،** أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت ٧١٠ هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو [ت ١٤٤٢ هـ]، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م.
- **المصنف،** أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (١٢٦ - ٢١١ هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي- الهند، توزيع المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية،** أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: مجموعة من الباحثين في ١٧ رسالة جامعية، تنسيق: د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشَّثري، دار العاصمة للنشر والتوزيع - دار الغيث للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.
- **معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي،** محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٠هـ)، تحقيق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- **معاني القرآن وإعرابه،** إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- **معجم مقاييس اللغة،** أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- **مفاتيح الغيب،** أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤٢٠ هـ.
- **المفضليات،** المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي (ت نحو ١٦٨هـ)، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف - القاهرة، الطبعة السادسة.

- **مقدمات التفسير موضوعاتها وفوائد منها،** عبد الله بن عبده العواضي، الطبعة الأولى ٢٠٢٠م-١٤٤١هـ مؤسسة غافق للنشر.
- **مناهج البحث العلمي وضوابطه في الإسلام،** د. حلمي عبد المنعم صابر، ص ١٤، بدون بيانات نشر.
- **منهج البحث العلمي عند العرب،** د. جلال موسى، دار الكتاب اللبناني بيروت.
- **النكت والعيون،** أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.
- **نواهد الأبكار وشوارد الأفكار = حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي،** عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، جامعة أم القرى – كلية الدعوة وأصول الدين، المملكة العربية السعودية.
- **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه،** أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت ٤٣٧هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.
- **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،** أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم , الدار الشامية – دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ، عدد الصفحات: ١٢٤٣.
- **الوسيط في تفسير القرآن المجيد،** أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤م.

فهرس الموضوعات

ملخص البحث -: ١٥٣٥
مقدمة ١٥٣٩
أسباب اختيار الموضوع: ١٥٤١
الدراسات السابقة: ١٥٤١
الفرق بين البحث والدراسات السابقة: ١٥٤٢
منهج البحث: ١٥٤٢
إجراءات البحث: ١٥٤٢
خطة البحث : ١٥٤٣
تمهيد : التعريف بمفردات عنوان البحث ١٥٤٥
أولًا: التعريف بمفردة(منهج): ١٥٤٥
ثانيا: التعريف بمفردة (تفسير): ١٥٤٦
المبحث الأول: ترجمة المفسرين في مقدمات التفاسير، وفيه مطالب:.....١٥٤٩
المطلب الأول: عصر المؤلف: ١٥٤٩
المطلب الثاني :طلبه وتحصيله : ١٥٥١
المطلب الثالث: شيوخه وأسانيده: ١٥٥٣
المطلب الرابع : مصنفاته في التفسير: ١٥٥٧
المطلب الخامس : حياته ومناصبه: ١٥٥٩
المبحث الثاني: معالم مناهج المفسرين في توصيف كتب التفسير. ١٥٦٤

المطلب الأول: عنوان الكتاب: ١٥٦٤
المطلب الثاني: وصف الكتاب: ١٥٧٠
المطلب الثالث: شرطه في كتابه: ١٥٧٤
المطلب الرابع: مصادره: ١٥٧٦
المطلب الخامس: سبب التأليف: ١٥٨٠
المطلب السادس: توقيت التأليف: ١٥٩١
المطلب السابع: اتجاهات المفسرين تبعا للعلوم: ١٥٩٣
المبحث الثالث: فصول مهمة متعلقة بمناهج المفسرين صدّرها المفسرون في أوائل التفاسي. ١٥٩٦
المطلب الأول: فضل علم التفسير، والثناء على أهله. ١٥٩٦
المطلب الثاني: اصطلاحات المفسرين. ١٦٠٠
المطلب الثالث: شروط المفسر، والآلات التي يحتاج إليها المفسر. ١٦٠٣
المطلب الرابع: طبقات المفسرين، وأشهر المصنفات في التفسير. ١٦٠٧
المطلب الخامس: ألوان التفسير، وتفصيل القول في التفسير بالرأي. ١٦١٥
خاتمة ١٦١٩
المصادر والمراجع ١٦٢٢
فهرس الموضوعات ١٦٣٠